«تعريف بكتاب»

طريـق الحجّ الأحسائي(٢)

إدارة التحرير

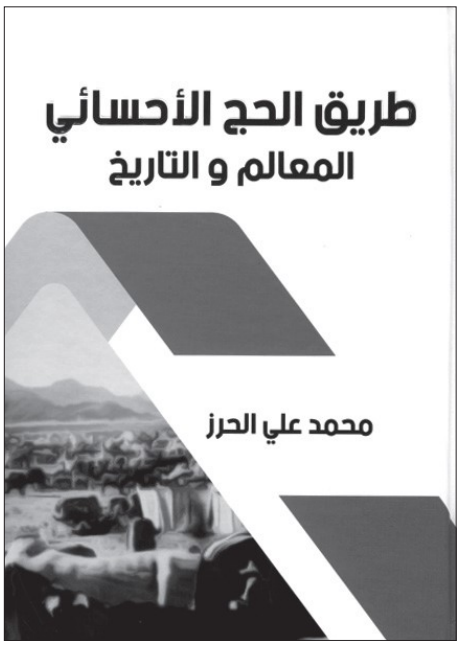

نظـراً لمنهـج مجلة «ميقـات الحجّ»، وعنايتهـا بالشـؤون الثقافية والتاريخية والسياسـية والاجتماعيـة للحـجّ ودائرتـه المباركـة...، فتحـت بابهـا لا فقط لاسـتقبال مـا يتفضل به

الكتّاب، ويبادر به العلماء والمحققون من بحوث ومقالات من أفكار وآراء حول عنايتها المذكورة، وإن لم تكتفِ بانتظار ما تجود به معرفتهم وأناملهم، بل راحت إدارتها تسمع وتقرأ وتلاحق ما يكتب هنا وينشر أو يُلقى هناك؛ ما دام يصبُّ في دائرتها المعرفية؛ لإعطائه مساحة مناسبة في المجلة، حرصاً منها في إغناء مكتبتها الخاصة وتراثها المعرفي، ومشاركةً منها في نشر ما تصبو إليه من أهداف كبيرة؛ تتمدّد على مساحة واسعة من الحرمين المباركين مكة المكرمة والمسجد النبوي وما حولهما من طرق وأماكن ومواقع.

إنّ هذا الكتاب «طريق الحج الأحسائي» لمؤلفه سماحة الشيخ محمدعلي الحرز، كتاب جيد لما تتوفّر فيه من أهمية تاريخيّة وفوائد ميدانيّة ومعرفة لحدود هذا الطريق ومعالمه، و قديماً كان هذا طريقاً للحجاج الإيرانيين.

فطوبى لمؤلفه الشريف، الذي تحمّل كثيراً من المعاناة؛ لإيجاد هذا السفر القيّم، نسأله تعالى أن يؤجره أجراً كبيراً، ويؤجر سماحة الشيح حسين الواثقي، الذي اقترح أن يحتلّ هذا الكتاب مكانته في هذه المجلة.

***

جاء في مقدمة البحث:

«طالما راودتني فكرة التطرّق لموضوع الحج الأحسائي من الناحية التاريخية؛ والتعريف بالعلاقة الكبيرة بين الأحساء وبلاد الحجاز، وأهم الطرق التي يسلكونها في المسير لأداء فريضة الحج، والعقبات التي تواجه الحاج الأحسائي تحديداً من صعوبات ومعوِّقات، حاله حال الكثير من الحجاج في مختلف المنافذ المتجهة إلى مكة المكرمة، نظراً للتغافل الكبير من المهتمين بتاريخ الحج وطرق الحاج، وذلك لصعوبة البحث وندرة المصادر التي تناولت معالم هذه الطرق.

لذا اكتفى معظم الباحثين بتناول الطرق المشهورة والمعروفة؛ مثل الشامي والعراقي

والمصري واليمني والعماني وغيرهم، دون تجاوز هذه العتبة خشيةً من وعورة الطريق والبحث في هذه النقطة المعتمة...».

الكلمات المفتاحية :

الدولة الجبريّة ، الموكب العقيلي ، الاستفادة من موسم الحج لجذب العلماء، دولة آل مغامس ، الدولة العثمانية الأولى ، العناية بطريق الأحساء ـ الحجاز ، الحج والصراع العثماني الصفوي.

***

... الدولة الجبريّة (حدود ٨٢٠ ـ ٩٣٠ هـ)، نبذة تاريخية:

يهبّ بعض المؤرخين إلى أنّ نشأة الدولة الجبرية كان خلال العقود الأولى من القرن التاسع الهجري، ومنهم الدكتور محمد محمود حيث يشير إلى تكوّن الدولة على يد الأمير زامل بن حسين بن جبر، قبل سنة ٨٢٠هـ، حيث تشير المصادر إلى سيطرتهم على الأحساء قبل هذا التاريخ،[1] وقد استدل على ذلك من خلال كلام ابن حجر في ترجمة إبراهيم بن ناصر بن جروان إذ قال: «إنّ جدّه انتزع الملك من سعيد بن مغامس، وحكم بلاد البحرين كلها»، ثم عندما ذكر ابن حجر، حفيده إبراهيم آخر ولاة بني جروان قال: «عنه صاحب القطيف فقط»، وذلك يعني خروج الأحساء من سيطرة بني جروان في عهد إبراهيم بن ناصر بن جروان الذي ذكر ابن حجر العسقلاني أنه ما زال يحكم عام ٨٢٠هـ،[2] ثم امتد ملكها إلى القطيف والبحرين ونجد وتهامة، وغيرها من المناطق المحيطة كما سيتضح من خلال السطور التالية. إلّا أن أقدم

١ . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٣٧.

٢ . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٣٨.

ذكـر للجبريـين إلى زامـل جـد الدولة الجبريـة في القرن الثامـن، وبالتحديد سـنة ٧٨٥هـ، ففـي أحداثـه ينقل صاحب كتـاب «إتحـاف الورى بأخبـار أم القـرى» الآتي:

«وفيهـا خـرج قريش ابـن أخي زامـل في ثمانية آلاف نفـس على حاجّ شـيراز والبصرة في الحسـا. فأخـذ ما معهم من اللؤلـؤ وغيره وكان مبلغـاً عظيماً، وقتلوا منهـم خلقاً كثيراً، فرجـع مـا بقـي منهم ماشـياً عاريـاً، وقـدم بعضهـم إلى مكة صحبة حـاجّ بغـداد، و جبى قريـش المذكـور ركـب العراق؛ جبـى منهم عشـرين ألـف دينـار عراقية حسـاباً عن كلّ جمل خمسـة دنانـير، حتى مكنهم مـن التوجـه إلى مكة».[١]

ومـن أقـدم ما ذكر عن طريـق الحاجّ الأحسـائي ما ذكره الفـاسي في تاريخه قائـلاً: «أنه في سـنة ثـلاث عـشر وثمانمئـة أيضـاً، لم يحـج العراقيون مـن بغـداد بمحمل عـلى العادة، وكانـوا قـد حجّـوا عـلى هـذه الصفـة سـت سـنين متواليـة، أو لهـا سـنة سـبع وثمانمئة، وآخرهـا سـنة اثنتـي عـشرة وثمانمئـة، وسـبب بطـلان الحـج في سـنة ثـلاث عشـرة وثمانمئـة: أنّ فيهـا خـرج التركـماني على بغـداد، وقرأ يوسـف التركماني،[٢] فقتل السـلطان أحمـد، وقيـل: إنـه فقـد، واسـتولى التركـماني عـلى بغـداد، ولم يقـع منهـم عنايـة بتجهيـز الحجـاج بمحمـل على العـادة، ودام انقطـاع الحجاج العراقيين من بغداد سـنتين بعد سـنة ثـلاث عـشرة وثمانمئة، وحج هذه السـنين مـن عراقي العجـم جماعة على الطريق الحسـا والقطيـف بـلا محمل».[٣]

---

١ . ابـن فهـد، عمـر بـن فهد بـن محمد بن محمـد بـن محمـد (٨١٢ـ٨٨٥هـ): إتحاف الـورى بأخبـار أم القـرى، تحقيـق وتقديم فهيـم محمد شـلتوت، جامعة أم القـرى، مكـة، الطبعـة الأولى: د، ت، ٣: ٣٤٢.

٢ . الأمـير قـرأ يوسـف بـن قـرأ محمد بـن بـيرام خواجة التركـماني توفي يـوم الخميـس ٧ مـن ذي القعدة سـنة ٨٢٣هـ في وجـان، وحمـل إلى ارجيـش فدفـن فيهـا حيـث مدفن آبائـه وأجـداده، انظـر: أعيان الشـيعة، السـيد محسـن الأمين، ١٠: ٣٢٢.

٣ . الفـاسي، أبـو الطيـب محمـد بن أحمـد بن على المكي الحسـني (المتـوفي: ٨٣٢هـ) شـفاء الغـرام بأخبار البلـد الحرام، دار الكتـب العلمية: بيروت، الطبعـة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ٢: ٣٠٧.

الموكب العقيلي:

ويتألف من مجموع الحجيج تحت الإمارة الجبرية وحمايتها، وكان يعدّ من أكبر وأضخم المواكب، حيث يبلغ تعداده عشرات الآلاف في كلّ عام من حُجاج البحرين والعجم والهنود والعمانيين وغيرهم ممن هم تحت الإمارة الجبرية أو من يريد بلوغ الحج تحت حمايتها مقابل مبلغ مالي، لما يتخلل طريق الحج من قُطّاع الطرق الذين لايتورّعون عن قتل الحجاج وسلبهم.

لذا كان لهذا الموكب هيبة وعظمة يلحظها أهل مكة عند دخولهم، ففي سنة ٨١٤هـ، صَاحَبَ الموكبَ العقيلي حجاجٌ قادمون من شيراز بغرض الحماية ولم يحج العراقيون، وحجّ من العراق أناس قليل من شيراز وغيرها عن طريق الحسا والقطيف.[1]

وهذا يؤكد وجود الموكب العقيلي في الأحساء قبل تكوّن الدولة الـ يلية، في إشارة لوجود سلطة لديهم وقوة جعلتهم الجهة البارزة في الأحساء، فبرغم المنعة التي كان يتمتّع بها الركب والقافلة العقيلية للحج فإنّ رحـ ا لم تخلُ من بعض الهزائم والعقبات أمام قُطّاع الطرق.

ففي سنة ٨٣٠هـ توجّه الركب العقيلي نحو الديار المقدسة قاصدين الحج، والتحق بهم بعض حاج العراق كان منهم السيد على بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسيني، وأخوه السيد أحمد بن حسن، وكانا قد ذهبا إلى العراق للدراسة الدينية، فبلغهما وفاة والدهما فأتيا إلى مكة المكرمة مع الركب العقيلي، وقد نهب جميع ما كان لديهم من مال، ومن لطف الله تمكنهم من بلوغ الديار المقدسة قبل موسم الحج فترة وجيزة.[2]

---

١ . إتحاف الورى بأخبار أم القرى، مصدر سابق٣: ٤٩١.

٢ . ابن فهد، عمر الهاشمي المكي (٨١٢ـ٨٨٥هـ): الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، دراسة وتحقيق: أ. د. عبدالملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م: ٢ : ١٠١٥.

وهـذا يبـيّن مـدى المعانـاة التـي يعانيها الحـاج الأحسـائي من قُطّـاع الطـرق في طريق الحـج، ممـا يجعل الذهاب للحج مسـألة لا تخلو مـن مجازفة، جعل الكثيريـ يكتب وصيته قبـل ذهابـه لعـدم وثوقه مـن الرجوع سـالماً إلى وطنـه مرة أخـرى، وكذلك نجـد جانب التبكـير في قوافـل الحجيـج بأكثـر مـن شـهر علـماً أنَّ الرحلـة مـن الأحسـاء في الحـالات العاديـة تسـتغرق بين أربـع وعشريـن يوماً إلى شـهر تبعاً لاختـلاف الطريـق وتعرجاته.

كـما نجـد في تعـدّد المرافقين من الأقطـار المختلفة إشـارة بكون قافلة الحج الأحسـائي يلتحـق بهـا أعـداد غفـيرة وكبيرة مـن حجـاج العـراق وإيـران، قادمـين إليها عـن طريق البحـر رغبـة في الحمايـة والمنعة، وذلـك لما لِحق الطريق مـن صيت سيء تركـه بعض البداة وقُطّـاع الطـرق، يتمثّل في الرعـب والذعر الذي يبثّونـه في قوافل حجاج بيـت الله الحرام.

التصدي لقُطّاع الطرق:

ومـن صور الاهتـمام والعناية بطريق الحـاج إلى أن أصبح من أولويـات الدول المتعاقبة عـلى الأحسـاء، ومحـل عنايتهـا واهتمامها شـنّ الهجمات عـلى قُطّـاع الطـرق بغرض كسر شـوكتهم وغـرس الطمأنينـة والأمان بـين الحجيج، فقد شـنَّ الجبريون بين سـنتي ٨٥١ـ ٩٢٩هـ، اتجاه قبائـل الدواسر المشـاغبة والفضول، وذلـك لتعد م المتكرر عـلى القوافل التجاريـة السـالكة منطقة بـوادي الأحسـاء والقطيف وطريق التجـارة الواقـع على إقليم نجـد خاصـة الواصـل إلى بلاد الحجـاز «طريـق الحجيج» نظـراً لأهميته لقوافـل الحجيج، وذلـك لأن الجبـور كانوا يعتمـدون اعتماداً رئيسـياً في اقتصاد دولتهم عـلى التجارة وتأمين طريقهـا مثلهم في ذلـك مثل الدولـة العصفورية.[1]

ومظهـر آخـر للدلالـة على مـا أعطتـه الدولة الجبريـة من أهميـة قصوى لطريـق الحاج الأحسـائي والاهتـمام بأمنـه وأمانه وقطع دابـر قُطّاع الطـرق بالخـروج في مواكب عظيمة

١ . تاريخ البحرين وشرقي الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٤٤.

تبلغ الآلاف من الحجاج والعسكر في منظر يثير الرعب في نفوس من تسوّل له نفسه التعرّض للحجّاج في الطريق، إضافة إلى الخروج بأنفسهم لقيادة الحجيج، يقول الحميدان في دراسته عن الدولة الجبرية:

«وقد حرص أمراء الجبور على تأمين هذا الطريق ـ طريق الحاجّ ـ وما قيام أمرائهم شخصياً بقيادة قوافل الحجيج إلّا تعبيراً عن حرصهم على سلامة هذا الطريق الحيوي، وإذا ما عرفنا بأنَّ قوافل الحجيج كان يرافقها عدد غير قليل من المحاربين لحراستها أدركنا أنَّ أمراء الجبور كانوا في الواقع يقومون عند مرافقة قافلة الحج مظاهرة عسكرية لزرع الخوف في نفوس معارضيهم من رؤساء القبائل المختلفة، إضافة إلى كسب الأصدقاء».[1]

وهذا يخلق تصوّراً عن أبعاد حماية الحاج وتأمين الطريق من آثار تنعكس على أداء الدولة الجبرية، سواء على الجانب السياسي بخلق قوة رادعة للمعتدين و إثبات هيمنة الدولة.

ومن جهة أخرى هو نوع من الاستثمار الاقتصادي والمالي لأنّ هذه القوافل المنضوية تحت لواء الجبور يدفعون مقابل مالي للأمير الجبري ليُؤمن لهم الحماية والوصول إلى الديار المقدسة، كما ساهم بدرجة كبيرة في كسبهم الكثير من الأصدقاء في المناطق المجاورة ومحاولة كسب ودّهم ورضاهم لقاء ما يقدموه لشعوبهم من حماية و منعة.

أبرز الحكّام الجبريين:

خلال عملية تتبّع المسار التاريخي للدولة الجبرية وما صاحبها من إرهاصات سياسية محليّة وإقليميّة انعكست سلباً وإيجاباً على سلطة الحكم الجبري خلال أكثر

١ . التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية. الدكتور عبد اللطيف ناصر الحميدان، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٦: ٤٧، ١٩٨٠.

من قرنٍ من الزمان (٨٢٠هـ إلى ٩٣٠هـ) تبرز لنا أسماء شاخصة من أمراء الدولة كانت لهم سطوةً وحظوة نظير ما حدث في عهودهم من أحداث مفصليّة ووقائع هامة.

من تلك الأسماء الشاخصة ما يلي:

الأمير زامل بن حسين بن جبر (٨٢٠ ـ ٨٦٦هـ)

حرصت الدولة الجبرية منذ تأسيسها على يد زعيمها الأول الأمير زامل بن حسين على تأمين طريق الحاج والقوافل التجارية التي تسير عن طريق أراضيها إلى نجد، وذلك عبر النيل من القبائل النجدية التي تعترض طريق القوافل التجارية وركب الحجاج إلى بيت الله الحرام، وقد شنَّ لذلك حملات متعددة على نجد منها سنة ٨٥١هـ، يقول ابن بسام:

«وفي سنة ٨٥١هـ، غزا زامل بن جبر العامري ملك الأحساء والقطيف، ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة وقصد الخرج وصبح الدواسر، وعايذ على الخرج، وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدّة رجال من الفريقين، ثم سارت الهزيمة على الدواسر وعايذ واستولى زامل على محلتهم وأغنامهم وإبلهم وأقام في الخرج نحو عشرين يوماً ثم قفل عائداً إلى وطنه».[1]

وكانت له حملة على نجد سنة ٨٥٥هـ، ثم أتبعها بحملة قوية وشرسة سنة ٨٦٦هـ، أخضع خلالها القبائل النجدية التي كانت تعترض طريق القوافل الحجاج على حدٍ سواء، والتي كانت تتخذ الحجّاج والعابرين مغنماً للكسب غير المشروع.

هذا الأمر يقودنا إلى إدراك أنّ بني جبر كان لهم اهتمام بجانبين:

١ . بسام، عبدالله، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق: إبراهيم الخالدي، شركة المختلف: الكويت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م: ٣٤.

الجانب الديني: ويتمثل في الحج الذي هو من أركان الدين و شعيرة عبادية عظيمة حثت النصوص على أدائها، لذا ينبغي ردع كلّ من يحاول أو تسول له نفسه التعرض لحجاج بيت الله الحرام بالسوء.

الجانب الاقتصادي: باعتباره مصدر تمويل الدولة وقوتها وعزتها أمام الأعداء، وأنها دولة تحمل فكراً اقتصادياً وتجارياً مترامي الأطراف.

لذا أولت الدولة الجبرية الحج منذ نشأتها اهتماماً خاصّاً بحيث كان أمرائها يشاركون موكب الحجيج في كلّ عام في أعدادكبيرة من الحجاج والجند، مما يعطي موكبهم هيبة عظيمة أمام الناظرين.

ورغم أنّ الموكب الجبري هو لأجل الحج إلّا أنه كان يُستثمر لأغراض اقتصادية، وذلك بأن يلتحق به من غير الحجاج ممن له رغبة بالسفر عبر ميناء العقير إلى مملكة هرمز و برّ فارس، فقد التحق بركب قافلة الحج السيد أحمد بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسيني (ت٨٤٢هـ) من أسرة أمراء المدينة المنورة، آخر سنة ٨٢٢هـ، مع قافلة الحج الجبري فبلغ هرموز،[1] وعاد بغير طائل بعد خسارة تجارته، ثم ليعاود الكرّة بعدها بعدة أعوام، وجعل وجهته إلى العراق هو وأخوه علي، مستفيداً من صحبة حجاج العراق العابرين من طريق الأحساء، وجنيا مالاً جزيلاً، وفي طريق العودة في موسم الحج سنة ٨٣٠هـ، تعرّضت قافلتهم للنهب والسلب وفقدا جميع ما اكتسباه من أموال.[2]

وهنا ندرك الثقة التي يوليها الشريف حسن بن عجلان أمير مكة آنذاك في الركب

١ . هي منطقة هرمز تقع على الساحل الفارسي مدينة صغيرة تتبع لمقاطعة، وتقع في محافظة هرمزگان في جنوب إيران. قال عنها ياقوت: تصدر منها بضائع الهند إلى البلاد الأخرى (معجم البلدان).

٢ . الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مصدر سابق١ : ٤٤٤، ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد الهاشمي القرشي (٨٥٠ـ٩٢٢هـ)؛ غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى: مكة، ط. ١ـ ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م ٢ : ٣٣٢.

الجبري لما يتمتع به من حماية، ثم إنّ عودته كانت عن طريق نفس القافلة في موسم الحج الآخر سنة ٨٢٣هـ، مما يوحي بأنّ عودته ارتبطت بالقافلة الجبرية لما يتضمنه الطريق من مخاطر.

ومن اللافت الإشارة إلى أنّ المؤرخ السخاوي في تاريخه «الضوء اللامع» يؤرخ في حوادث سنة ٨٢٣هـ، فيقول:

«إنّ قافله بني عقيل [الجبري] قد غادرت الحجاز بعد انتهاء موسم الحج عائدة إلى بلاد البحرين»،[1] مما يؤكد أهمية الموكب الجبري في موسم الحج، حتى أنّ السخاوي يؤرخ خروجه من مكة، في إشارة لما لهذا الموكب من منظر مهيب ومكانة في مكة بحيث يكتب عنه.

كما تمثّل هذه الجموع الغفيرة مع الحج الجبري كنوع من الحرص على تأمين الطريق من القبائل التي تُغِير على طريق القوافل التجارية، ودليل على القيمة المالية التي تحملها تلك القوافل وقيمة بضائعها، واعتبارها مصدر رئيسي من المصادر التي تعزز اقتصاد سلطنة الجبور ببلاد البحرين.[2]

ورغم ما يتخذه الركب العقيلي من احتياطات من أجل الحفاظ على سلامة الحاج، عبر اصطحاب أعداد كبيرة من الجند والعتاد، فإنّ هذا لا يجعله محصّناً من الاعتداءات ومحاولات السرقة التي تفلح تارة وتعود خ سرة تارة أخرى، وذلك أنّ الحاج على طوال التاريخ كان محل أطماع وجشع عُبَّاد المال الذين لا يتورّعون عن النيل من الحجاج وسلبهم أموالهم دون أي شفقة أو رحمة.

ولم يكن أهل الحجاز في منأى من ذلك، ففي عام ٨٢٨هـ تعرّض حاج الجبور

١ . السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل: بيروت، طبعة ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م ٩: ٢٥٦.

٢ . تاريخ البحرين وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٦٧ـ٤٦٨.

للنهب والسلب، فقد خرج عليهم السيد زهير الحسيني،[1] وأخذ أموالهم وجمالهم، وكان مع هؤلاء الحاج قاضي مكة سراج الدين الحنبلي، وكان قد وصل من بلاد العجم.[2]

فقوافل الحجيج القادمة عبر ميناء العقير من الأعاجم والهنود وحجاج العراق لم تنقطع من السير على طريق الحاج الأحسائي طوال تاريخ لما يتمتع به من قرب عن غيره، وربما يكون أكثر أماناً في بعض الأحيان، من طريق الحاج العراقي الذي اعتاد سلوكه حجاج إيران في الغالب.

والجدير بالإشارة أنّ زامل استطاع خلال رحلاته إلى مكة المكرمة أن يخلق علاقة طيبة وقوية مع أمير مكة السيد بركات،[3] جعلته يولي عناية خاصة بركبهم ويكون ناصراً لهم حين شدّتهم.

ففي حوادث سنة ٨٥٣هـ، خرج السيد بركات في اليوم الثاني من جمادى الآخرة نحو الشرق لغزو عرب نهبوا حاج البحرين في السنة التي قبل هذه السنة، ثم وصل العلم إلى مكة المشرّفة في عصر يوم السبت سادس من شهر رجب بأنه ظفر بهم وغنم أموالهم.[4]

وهو إشـ رة في أنّ الخبر وصله متأخراً فلم يرضه الأمـ إلّا أن يشارك في الأخذ بحق

---

١ . زهير بن سليمان بن زيان بن منصور حجاز بن شيحه الحسني، كان فاتكاً خارجاً عن الطاعة، يقطع طريق الحجاج قتل عام ٨٣٨هـ ، السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق ٢ : ٢٣٩ . رقم:٨٩٤.

٢ . إمـ رة الحج في عصر الدولة المملوكة، مصدر سابق: ٢٦٣ .

٣ . بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، ولد عام ٨٠١هـ، ونشأ شريف الهمة جميل الأخلاق، أشركه والده في أمرة مكة بأمر السلطان عام ٨٠٩هـ، ثم جعله شريكاً لأخيه أحمد عام ٨١١هـ، كان شهماً عارفاً بالأمور، توفي عام ٨٥٩هـ، راجع الضوء اللامع للسخاوي.

٤ . إتحاف الورى، مصدر سابق٤ : ٢٨٥ .

الحاج منهم، واعتبر نفسه شريكاً في مسؤولية نحوهم.

وهذا ما يفسّر أيضاً مع ما ذكرناه من حرص الأمير زامل بن حسين على تأديب البدو التي كانت تعترض طريق الحجّاج فتلحق بهم الأذى والضرر وهم في طريقهم إلى الديار المقدسة.

أجود بن زامل (٨٧٥ ـ ٩١١ هـ)

أجود بن زامل بن سيف الْعقيليّ الجبري العامري القيسي، نسبة لجدٍّ له اسمه جبر ولذا يقال له ولطائفته بَنو جبر النجدي الأصل المالكي مولده ببادية الحسا والقطيف، في رمضان سنة ٨٢١هـ، وهو أول من ملك الأحساء من آل جبر. ويعدّ من أهمّ رجالات الدولة الجبرية، وقد اتسعت الدولة الجبرية فشملت الأحساء والبحرين وعمان وبلاد نجد، وكان مالكي المذهب.

وقد قامت دولته على أنقاض دولة هرمز التي كانت حاكمة للأحساء والقطيف والبحرين،[1] وعرف برئيس نجد وسلطان البحرين والحسا والقطيف.[2]

وفي عهده أولى موضوع الحج وركب الحاج وأمنهم وأمانهم اهتماماً بالغاً ولافتاً في حينه، والذي تمثّل في تأمين طريق الحاج والتصدّي لقُطّاع الطرق، واستقبال قوافل الحجيج السائرين عبر طريق الأحساء إلى الديار المقدسة، مما أكسبه شهرة واسعة و رضاً لدى أمراء و رؤساء الدول وأتباعهم، لذا نجد في مراسلاتهم له كلمات التعظيم و التفخيم والإجلال، حيث كان يخرج بنفسه مع القافلة في أعداد غفيرة من الجند والحرس مما يشعر الحاج بالراحة النفسية والطمأنينة:

---

١ . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصدر سابق ٦: ١٧٥.

٢ . الوهبي، د. عبد الكريم بن عبد الله المنيف، العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية «إيالة الحسا» ٩٥٤ـ١٠٨٢هـ/ ١٥٤٧ـ١٦٧١م، مطابع الحميضي، الرياض، ط. ١، ١٤٠٥هـ، ٢٠٠٤م: ٦٨.

ففي رسالة للمؤرخ الهندي (نمديهي) إلى الأمير أجود على لسان وزير الدولة البهمنية في الهند قال فيها: «إلى الشيخ أجود المعروف بابن جبر... بعد حمد الله والصلاة على نبيّه، فتشريف التسليمات الطيبات ونفائس التحيات الزكيات، على الملك الأعظم الأكرم الأمير الأفخم الأقدم، مالك البرّ واليمّ، حامي العرب والعجم، ومبارز معارك الشجعان، كرّار المصاف بالسيف والسنان، وأعدل ملوك الأطراف والأقطار، وأشجع ولاة الأزمان والأعصار، مفتخر حجاج بيت الله الحرام».[1]

ومن جانب آخر من الرسالة يقول: «قدوة زوّار النبيﷺ، المخصص بعواطف العلي الصمد، ملك ملوك العرب سلطان أجود».[2]

إلى أن يختم الرسالة بالدعاء للأمير أجود بقوله: «ربّ كما وفقته بحماية أهل المدر والوبر اجعل طول عمره إلى يوم الحشر، بمحمد وحيدر».[3]

فمن خلال الرسالة نجد الإشارة إلى دور الأمير أجود في حماية الحجاج وتسهيل تنقلهم بين مكة والمدينة، وأنّ الأحساء من طرق الحاج الهندي، لذا أشار لهذه السمة التي لمسها الحجاج الهنود في مرافقتهم للحج العقيلي المنطلق من الأحساء، كما يستفاد منها مكانة الأمير أجود عندما لقبه «ملك ملوك العرب».

ومن الأمور التي أكّدها السخاوي في سيرة أجود وكيفية خروجه إلى الحج أنه ممن يحج في كلّ عام، ويخرج في أعداد كبيرة يبلغون الآلاف في رحلة مليئة بالعطاء والتصدّق على الفقراء والمحتاجين،[4] مما يرغب في المسير في ركبه وصحبته.

وقد حرص الأمير أجود بن زامل منذ تولّيه السلطة في البحرين على الذهاب إلى

---

١ . تاريخ البحرين وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٥٠٠ـ٥٠١.

٢ . م.ن: ٥٠١.

٣ . م. ن: ٥٠٤.

٤ . شمس الدين السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع١: ١٩٠.

الحـج في كلّ عـام ضمن موكب كبير، ففي سـنة ٨٧٦هـ ذهب إلى الحـج، وكان معه أعداد كثـيرة جـدّاً،[١] ممـا لفت نظر ابـن فهد مؤرخ مكة ليشـير لهـذا الموكب وكثـرة مرافقيه.[٢]

وفي هـذا إشـارة إلى حـرص الأمـير أجـود عـلى الخـروج بأعداد كبـيرة من جيشـه إلى الحـج في موكـب ضخم، إضافـةً إلى الحجيج التي تـأتي برفقته من مختلـف مناطق البحرين واليمامـة، والمناطـق المحيطـة بهـا، والقادمـين عـن طريـق ميناء العقـير من حجـاج الهند وفـارس وغيرها، كـما أشرنا سـابقاً.

فقـد تـولّى إمـارة الحـاج للركـب الأحسـائي في عهـده، وكان يحـجّ في ركـبٍ عظيـم، يشـمل جميـع المناطـق الخاضعة تحت سـلطته، إضافـة إلى الحـاج في المناطق المجـاورة، وقد ذكـر التاريـخ بعض مـن تلك المشـاهد:

يذكـر صاحـب أخبار الحـاج في أحداث سـنة ٨٩٣هـ ما نصـه: «وحجّ الأمـير أجود بـن زامـل، أمـير بنـي جـبر، في نحو خمسـة عشر ألفـاً مـن الرجـال، ونـزل في المُنحنا قرب حراء».[٣]

ويفـسّر الـسرَّ وراء هـذا العـدد مـن المرافقـين في الركب الأحسـائي في الحـج الدكتور محمـد محمـود بقوله:

«والحقيقـة أنّ سـلاطين الجبـور حرصوا عـلى تأمين طـرق التجارة في بـلاد البحرين ونجـد، وكان سـلاطينهم يقومـون بقيـادة قوافـل الحجيج شـخصياً يعدّ تعبـيراً صريحاً

١ . إمـارة الحـج في عـصر الدولة المملوكيـة وأثرها على الأوضـاع الداخلية بمكة المكرمة، مصدر سـابق: ٢٠٢.

٢ . إتحاف الورى، مصدر سابق ٤: ٥٤٢.

٣ . الجزيـري، عبـد القـادر بـن محمـد بـن عبـد القـادر الأنصـاري الحنبـلي (تـوفي نحـو ٩٧٧هـ)، الـدرر الفوائـد المُنظّمـة في أخبـار الحـاج وطريـق مكـة المعظمـة، تحقيـق: محمـد حسـن محمد حسـن إسـماعيل، منشـورات محمد على بيضـون، ودار الكتـب العلمية: بـيروت: الطبعـة الأولى: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، ١: ٤٧٦.

على حرصهم على سلامة ذلك الطريق الحيوي، والدليل على ذلك أنه في عام ٨٩٣هـ خرجت حملة بقيادة السلطان أجود ضد الد اسر، كما سبق ذكره في واحة الخرج لإخضاعهم، وقد ذكر المؤرخون أنّ السلطان أجود قد قام بالحج في تلك السنة.

ونستنتج من خروج السلطان أجود وتوجهه لتأديب قبيلة الدواسر التي ربما خرجت لتهديد قوافل الحجيج المتوجهة إلى مكة، لذا لازم السلطان أجود تلك القوافل العابرة لطريق الحجاز والذاهبة إلى مكة وحتى يؤمنها من تعدي القبائل النجدية الأخرى إذا كان طريق قوافل الحجيج يعبر منطقة نجد إلى مكة».[1]

أما في سنة ٨٩٦هـ فإنَّ الحاج الأحسائي لم يحج، ولم يأتِ إلى الديار المقدسة في مكة المكرّمة، يقول الجزيري:

«ولم يحج في هذا العام ركب العراقيين، ولا الأروام،[2] ولا المغاربة، ولا بني جبر، ولا عُقيل»،[3] ويعني ركب الحاج الجبري المنطلق من الأحساء، ولم نقف على الأسباب والدواع حسب تتبعنا في المصادر، مع احتمالية.

والشيء المؤكد أنّ الدولة الجبرية بعد عهد أجود وفي عهد زامل وصل نفوذها إلى منطقة الحجاز، وأصبح أمن مكة والبيت الحرام من أمنها، لذا أي اعتداء على مكة المكرمة هو تعدي على حقّها ومكانتها، هذا ناهيك أنها ربطتها بأشراف مكة علاقة حسنة ووثيقة جعلتهم محل استعانة، ففي حوادث سنة ٩١١هـ يذكر ابن فرج في كتابه «السلاح والعدّة في تاريخ بندر جدّة» الآتي:

«وصل إلى مكة سلطان البحرين والحسي (الحسا) والقطيف، محمد بن أجود بن

---

١. تاريخ البحرين وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٤٦.

٢. الأروام: جمع الروم، ويقصد بها في تلك الأزمنة العثمانيون الأتراك.

٣. أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق١: ٤٧٧.

جبر،[1] في طائفة من عسكره، وكانت عدتهم خمسين ألفاً بحيث ملأوا السهل والوعد، وكان وصولهم بمكاتبةٍ من المرحوم مولانا السيد بركات بن محمد (شريف مكة)، لقتال أهل الفساد والزيغ المعتاد، ووجدوا العسكر المصري (عساكر سلطنة المماليك بمصر). ثم طافوا بالبيت وتحلّلوا من الإحرام ورجعوا إلى بلادهم (بلاد البحرين)».[2]

والجدير بالذكر أنّ أهل الفساد الذين ذكرهم، هم بنو إبراهيم من أهل ينبع وزبيد ومن تبعهم، خرجوا على الطاعة وهاجموا مكّة وجدّة.[3]

وهذ يكشف مدى العلاقة القوية بين أشراف مكة المكرمة والدولة الجبرية والتي جعلتهم محل ثقة والاطمئنان لدى الشريف «بركات» رغم البعد الكبير بين البحرين دولة الجبور، ومكة المكرمة ولكنه كان يجد فيهم العون والصديق.

وقد أشار السخاوي على مسألة مهمّة ولافتة عندما قال:

«إنَّ السلطان أجود أكثر من الحج في أتباعٍ كثيرين يبلغون آلافاً مصاحباً للتصدّق والبذل وغيره».[4]

فهو يوضّح عدة أمور، أهمها:

ـ إن السلطان أجود كان كثير القدوم إلى الحج.

ـ إنه يأتي في أتباع كثيرين، وكما أشرنا سابقاً أنَّ هذا العدد يتكوّن من ثلاث فئات:

١. الفئة الأولى: الحجاج من أهل المنطقة من الأحساء والمناطق المحيطة بها.

٢. الفئة الثانية: الجند الذين يأتون لحماية الموكب الملكي ولحماية الحاج وإدخال الرعب في قلوب المعتدين.

---

١. يحتمل أن المراد هنا أبوه الأمير أجود وليس الأمير محمد بن أجود، كما سنبينه في السطور القادمة.

٢. تاريخ البحرين وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٦٨.

٣. تاريخ البحرين وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٦٨.

٤. الضوء اللامع، مصدر سابق١: ١٩٠.

٣. الفئة الثالثة: من يأتون إلى الحج من خارج الجزيرة العربية من إيران والهند وغيرها من أجل الحج من الطريق الأحسائي.

وقد أشرنا فيما تقدّم من كلام أنّ الحجاج الإيرانيين كانت أعداد منهم تأتي من طريق الحج الأحسائي لما يتميّز به عن غيره بالأمن، وقرب المسافة قياساً لطريق الحاج الشامي مما أعطى الأمير أجود مكانة عظيمة في النفوس.

يقول المؤرخ نمديهي في خطابه إلى الأمير أجود:

«أشجع ولاة الأزمان والأعصار، مفتخر حجاج بيت الله الحرام، قدوة زوّار النبي صلى الله عليه وآله، المخصوص بعواطف العلي الصمد، ملك ملوك العرب، سلطان أجود».[1]

إنَّ الموكب ضمن برامجه بذل العطايا والهبات للحجاج والفقراء ممن يردون إلى مكة لحج بيت الله الحرام.

الاستفادة من موسم الحج لجذب العلماء:

أولى الأمير أجود بن زامل الجانب الديني في الأحساء اهتماماً قوياً يتماشى مع الخط الفكري والديني الذي ينتمي إليه، ونذكر هنا عدداً من الشواهد على ذلك:

ـ سعيه إلى ترويج التعليم بإغراء عدد من العلماء البارزين للعمل في بلاده، فمن ضمن برنامجه أثناء أداء الحج اللقاء بالعلماء وبعد التعارف والنقاش والحوار يدعوهم إلى زيارة الأحساء والإقامة فيها والتدريس والقيام بالمهام الدينية بعضهم ينتمي للمذهب الشافعي.

ـ عمل من خلال هؤلاء العلماء للترويج للمذهب المالكي، ومنهم علماء بلاد المغرب العربي، ولما كان الجبور يتمذهبون بالمذهب المالكي فقد سعى إلى نشر المذهب وترويجه بواسطة عدد من الأعلام في بلاد البحرين. فمن هؤلاء الأعلام الذين نزلوا

١ . تاريخ البحرين وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٧٠.

إلى البحريـن بصحبـة أجود بـن زامل:

١ـ الشـيخ خليفـة بـن عبدالرحمـن بـن سـلامة البجائـي المالكـي، وهـو مـن العلـماء الصلحـاء في المدينـة المنـورة، ومن الأسـاتذة للـدروس اللغويـة والدينيـة درس على يديه العلامـة السـخاوي، الألفيـة، وأخـذ عـلى يديـه الكثير مـن أعـلام المدينة، وأجـاز بعض تلامذتـه، سـافر مـع بنـي جـبر مطلوبـاً ليقيـم عندهـم في الأحسـاء، مدرّسـاً أو قاضياً،[١] يقـول الدكتـور القريني: «ولا نعـرف بالتحديد مدة إقامته في الأحسـاء، إلّا أنه هناك وثيقة محليـة تعود لسـنة ٩٠٠هـ، تشـير إلى أنّ الشـيخ خليفة أحد الشـهود على هبة الأشـخاص قبـل عشريـن عاماً مـن تدوينهـا، مما يعنـي إن إقامتـه في الأحسـاء كانـت طويلة».[٢]

٢ـ القـاضي جمـال الديـن عبـد الله بن فـارس بن أحمـد الجمال التـازي البرنـوسي، قدم إلى مـصر وأخـذ عـلى أعلامهـا، ثم اتجـه إلى مكـة المكرمة واسـتقام فيهـا حقبة يسـيرة، ثم التقـى بالأمير أجـود بن زامل عـام ٨٧٦هـ أثنـاء أداء الحج، وصحبه وأقام عندهم خمسـة عـشر عامـاً، وحـجّ بمعيته سـنة ٨٩٣هـ، فاعتلّت صحتـه وانتقـل إلى جوار ربّـه في مكة المكرمـة بعد أداء المناسـك في شـهر محرم سـنة ٨٩٤هـ،[٣] ترك ابنـاً من العلـماء، وكان خيّراً صالحـاً، مـن مصنفاتـه: شرح المختصـر (مختـصر خليل بـن إسـحاق) في الفقـه المالكي، وكان الشـيخ عبـد الله بـن فـارس أثنـاء وجـوده في الأحسـاء عالماً مميـزاً اسـتطاع أن يثري السـاحة بمحاضراتـه ومناظراتـه ومؤلفاتـه، ومن ضمنها رسـالته العلمية التـي ناقش بها

---

١ . الضـوء اللامـع، مصـدر سـابق١: ١٩٠، الحيـاه الثقافيـة في الأحسـاء في عهـد الدولـة الجبريـة (٨٤٣ـ٩٣١هـ/١٤٣٩ ـ ١٥٢٦م)، محمدبـن موسـى القرينـي، الجزيـره العربيـة في القـرن العـاشر الهجـري، ١٦م، السـجل العلمـي للنـدوة العالميـة الثامنـة لدراسـة تاريخ الجزيـرة العربيـة، إصدار: مركـز الملـك سـلمان لدراسـات تاريـخ الجزيـرة العربيـة وحضارتهـا: الريـاض، ط.١، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م: ٧١٠.

٢ . الحياة الثقافية في الأحساء في عهد الدولة الجبرية، مصدر سابق: ٧١١.

٣. الضوء اللامع، مصدر سابق٥: ٤٠.

المذهـب الإمامـي الإثنـي عشري، وحـاور رجاله بـأدب الحـوار العلمي.[1]

ويستنتج من ذلك شيئان:

ـ الأول: إنَّ السـلطان أجـود بـن زامـل ذهـب للحج في عـام ٨٧٦هـ، وعـام ٨٩٣هـ أيضـاً مما يـدلّ على كثـرة أدائـه لفريضـة الحج.

ـ الثـاني: إنَّ «أجـود» كان يذهـب لاختيار الفقهـاء والعلماء الدينيين بغـرض الذهاب بهـم لبـلاد البحريـن، وذلك حتـى يفقّهوا أهلهـا في ديـن الله الحنيف خاصة عـلى المذهب المالكـي الـذي اعتنقـه سـلاطين الجبور بخـلاف سـابقيهم مـن العيونيـين والعصفوريين وبنـي جـروان الذين تمسـكوا بالمذهب الشـيعي.[2]

٣ـ الشـيخ حسـن بـن عمـر بـن الزيـن بن عبـد العزيـز بـن عبـد الواحـد الأنصاري المغـربي الأصـل، المـد المكي، وهـو من تلامـذة الشـيخ السـخاوي، ولد سـنة ٨٤٧هـ، وتلقـى علومـه في المدينة المنـورة ومكة المكرمة، قال السـخاوي: «ودخـل هجر والبحرين بـلاد بني جـبر لصحبـة بينهما».[3]

٤ـ الشـيخ نـصر الله الجعفري الطيار وذريته، فقد قدم إلى الأحسـاء مـن المدينة المنورة في عـام ٩٠١هـ، وصحبه الشـيخ على بـن محمد بن أحمد جـد أسرة آل عبدالقادر في سـنة واحـدة، وكان قدومهـما بطلـب من أمير الأحسـاء أجود بـن زامل الجبري وبمشـورة من السـمهودي صاحب كتـاب «وفاء الوفـاء في أخبار دار المصطفى» حيث كان السـمهودي صديقـاً للأمير أجـود، وهو الذي كان يفـرّق صدقاته ومبرّاتـه في الحرمين الشريفين.[4]

---

١ . الحياة الثقافية في الأحساء في عهد الدولة الجبرية، مصدر سابق: ٧١١.

٢ . تاريخ البحرين وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٧٣.

٣ . الضوء اللامع، مصدر سابق٣: ١٢٠.

٤ . السـبيعي، الدكتـور عبـد الله بـن نـاصر، القضاء والوقـف في الأحسـاء والقطيف وقطـر أثناء الحكم العثـماني الثاني ١٢٨٨ـ١٣٣١هـ (دراسـة وثائقيـة)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م: ١٢٨.

٥ـ الشيخ علي بن محمد آل عبد القادر بن أحمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الشافعي، من أعلام المدينة أواخر القرن التاسع الهجري، من ذرية أبي أيوب الأنصاري، طلب منه السلطان أجود بن زامل القدوم إلى الأحساء، وممارسة نشاطة الديني فيها، فسكن مدينة المبرز حي السياسب، ولا زالت ذريته تتخذها مسكناً لها، وهم من البيوت العلمية فيها.[١]

ومما لا شك فيه فإنَّ وجود مثل هذه النخبة العلمية من الرعيل الأول ساهم بشكلٍ كبير ومباشر في تنشيط الحراك العلمي في الأحساء ودفعه للأمام، والذي تمثّل في القيام بعلمية الدرس والتدريس والبحث والتأليف والتصنيف على مختلف المذاهب الإسلاميّة، مضافاً لما تزخر به الأحساء آنذاك من علماء أفذاذ لا يشقّ لهم غبار في الفقاهة والعلوم الدينية الأخرى.

نهاية عهد أجود:

من الراجح أنّ وفاة الأمير أجود بن زامل سنة ٩١١هـ أو بعدها بشهور، فقد حجّ في تلك السنة بجمعٍ يزيدون على ثلاثين ألف حاج.[٢]

الأمير محمد بن أجود بن زامل:

فقد أثير أكثر من رأي عمن كان أميراً وقائداً للموكب الجبري عام ٩١٢هـ لحج بيت الله الحرام، هل هو الأمير أجود بن زامل أم ابنه الأمير محمد بن أجود بن زامل؟

ـ الرأي الأول: الأمير أجود هو أمير الحاج:

١ . الحياة الثقافية في الأحساء في عهد الدولة الجبرية، مصدر سابق: ٧١٣.

٢ . الفاخري، محمد بن عمر (ت١٢٧٧هـ)، تاريخ الفاخري، دراسة وتحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل، الأمانة العامة بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م: ٨٢.

يقـول الجزيـري ومع سـنة ٩١٢هـ، كان ركـب الحج الأحسـائي بقيادة الأمـير أجود بـن زامـل كبـير جـدّاً، فقـد بلغ الحـاج الذي معـه لهـذا العام مـا يربوا عـلى ثلاثـين ألفاً،[١] وهـم بلا شـك مـن داخـل الأحسـاء وخارجها ممـن يسـلكون درب الحاج الأحسـائي.

ويقـول الفاخـري في تاريخه: «وفي سـنة ٩١٢هـ، حـجّ أجود بن زامل رئيس الأحسـاء في جمـع عظيـم يقال: أنهـم يزيدون على ثلاثـين ألفاً».[٢]

وتبعهـم عـلى هـذا الرأي عـدد مـن المؤرخين كابن بـشر في تاريخـه، وابن عيـسي وابن بسـام من مورخـي نجد.

ـ الرأي الآخر: الأمير محمد بن أجود:

إنّ الـذي زعـم الحـج في هـذه السـنة هـو الأمـير محمـد بن أجـود بـن زامل بعـد وفاة والـده وتوليه السـلطة بعـده، ويميل إلى هـذا الرأي الدكتـور عبد اللطيـف الحميدان وقد سـاق لكلامه عـدداً مـن الأدلة: [٣]

أولاً: مـا نقلـه حمـد الجـاسر في هامـش تاريـخ ابـن عـسي «عـن العصامـي قولـه: بأنّ محمـد بن أجـود قد حجّ عـام ٩١٢هـ، في يـوم الثلاثاء سـابع من ذي الحجة»، ويشـير ابن فهـد قولـه: «وفي هـذا اليـوم أو ثانيه وصل الشـيخ محمـد بن أجود بـن زامل وولـده وابن أخيـه مقـرن بـن زامـل وابن عـم أبيـه صالح وغيرهـم مـن أهلهـم وجماعتهم وهـم فيها نحـو الثلاثـين ألفـاً أو خمسـين أو سـتين أو مئة والله أعلـم من جهـة المدينة».[٤]

ثانيـاً: أنّ المـؤرّخ الشـيخ حمـد الجـاسر قـد نقـل لنـا إفـادةً عـن كلٍّ مـن ابـن فـرج (ت١٠١٠هـ) وابـن فهـد المكـي (٨٥٠ـ٩٢١هـ) ـ وهمـا مؤرخـان حجازيـان عارفان

١ . أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق١: ٤٨٨.

٢ . تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ٨٢.

٣ . التاريخ السياسي لإمارة الجبور، مصدر سابق: ٧٢.

٤ . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٨٠.

بأحداث الحجاز وقريبان من موقع حدوثها ومعاصران ويصعب تخطأتهما ـ بأنَّ الأمير محمد ابن أجود الذي كان سلطان البحرين والحسا والقطيف قد حضر إلى مكة خلال موسم حج عام ٩١٢هـ.

ثالثاً: إننا لو افترضنا جدلاً صحة التاريخ الذي أورده العصامي والذي ينص على قيام الأمير أجود بن زامل بالحج عام ٩١١هـ/ ١٥٠٦م، فإنَّ معنى ذلك أنه قاد قافلة الحج وله من العمر تسعون عاماً أو يزيد، إذ إنَّه قد ولد في رمضان ٨٢١هـ، وهذا أمر يصعب قبوله نظراً لعدم قدرة من في مثل سنه على تحمّل هذا العبء، بالرغم من تصوّرنا بأنّ هناك من يعينه على هذه المهمة.

وعلينا أن نتذكر بأنَّ موسم الحج لذلك العام كان يقع في فصل الصيف، فكيف يمكن لرجل مسنٍّ أن يقطع رحلة الحج الطويلة ذهاباً وإياباً في هجير الصيف وهو يحمل أعباء هذه السنين والمسؤوليات الكبيرة.

فعليه ومهما يكن من أمر فإنَّ هذه النقطة تجعلنا أيضاً نستبعد أن يكون الشيخ أجود على قيد الحياة حتى ذلك التاريخ.

لهذا ـ وبناءً على هذا الكلام ـ يمكن لنا أن نستشفّ بأنّ إمارة الحج في سنة ٩١٢هـ كانت للأمير محمد بن أجود بن زامل العامري، وفقاً لرأي الحميدان.

ولعل الرأي الثاني أرجح وأكثر واقعية لوجود شخصيتين معاصرتين تذهبان إلى أنّ القادم إلى الديار المقدسة هو محمد بن أجود و ليس والده.

وكان محمد بن أجود يحمل لقب «سلطان البحرين والحسا والقطيف» و أنه كان على جانب كبير من القوة وكثرة الأتباع.

فقد ذكر بأنه في ذلك العام و بعد انقضاء موسم الحج بقليل أي في ١٧ من ذي الحجة وصل محمد بن أجود إلى مكة على رأس جيش كثيف قدر بخمسين ألف رجل، وقيل بأنّ مجيئه ومعه هذه القوة الكثيفة كانت تلبيةً لطلب المساعدة في حفظ الأمن

والنظـام في مكـة المكرمـة ومنـع تجـاوزات بعـض القبائـل البدوية، تقـدم بـه إليه شريف مكة بـركات.[1]

الأمير مقرن بن زامل الجبري (٩٢٢ ـ ٩٢٨ هـ)

الأمـير مقـرن بـن زامل الجـبري الخالـدي العقيـلي العامري الهـوازني، هـو حاك شرق جزيـرة العـرب، بما فيهـا الأحسـاء والقطيف والبحريـن وآخر حـكّام الجبـور للبحرين.

ففـي سـنة ٩٢٦هـ حج حاكم الأحسـاء مقرن بـن زامل الجبري، وجلـب معه إلى مكة المكرمـة اللؤلـؤ والمعـادن الفاخرة والمسـك والعنبر والعود القـماري والحريـر الملوّن وغير ذلـك مـن الأشـياء.[2] كـما تصـدّق عـلى أهـل مكـة المكرمـة والمدينة المنـورة بنحو خمسـين ألـف دينار.

فالعلاقـة بين أشراف مكـة والدولة الجبرية في عهـد مقرن بن زامل مـن الوثاقة والقوة لتصـل إلى حـدّ المصاهـرة التي جمعـت بين الجبـور وأشراف مكـة، حيث تزوج السـلطان مقـرن بـن زامـل بابنـة شريـف مكـة آنـذاك الشريـف بـركات بـن محمـد بـن بـركات بن حسـن بن عجلان (٩٠٣ـ٩٣١هـ)، الذي كان يدين بالتبعية للعثمانيـين في تلك الفترة.[3]

والمظنـون أنّ العلاقـة بـين الأمـير مقـرن وأشراف مكـة كانـت سـابقة لتوليـه الحكـم والسـلطة في بلاد الحسـا، وهذا ما تستشـفّه من الدعـم الذي حظي به مـن أشراف الحجاز في مقابـل تـولي صالـح بـن سـيف الـذي هو مـن فـرع آخر مـن البيـت الجـبري لا ينبغي تقلـده السـلطة مع وجـود أبناء أجود بـن زامل، ولعلّ هـذا الكلام يفـسّر انقطاع الحديث عـن قافلة الحـج الجبرية المسـتقلة طـوال فترة حكـم صالح تقريبـاً، وعـودة الحديث عنها

١ . التاريخ السياسي لإمارة الجبور، مصدر سابق: ٧٨.

٢ . تاريخ البحرين وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٦٨.

٣ . م . ن : ٤٧٠.

فـور تولي مقرن مقاليد السـلطة في الحسـا سـنة ٩٢٢هـ.[١]

ويظهـر أنـه سـار على نفس نهـج أمـراء الدولة الجبريـة بالتولي إمـارة الحـجِّ في كلِّ عام ففـي سـنة ٩٢٨هـ، ذكـر بـن إيـاس أنّ السـلطان مقـرن: «قد أتـى مكـة وحـجّ في العام المـاضي، سـنة ٩٢٧هـ، وكان يجلـب إلى مكـة اللؤلـؤ والمعـادن الفاخـرة (النفيسـة) مـن المسـك والعنـبر والعـود القـماري والحريـر الملـون وغير ذلـك من الأشـياء النفيسـة».[٢]

وقـد هُزم في معركة سـنة ٩٢٨هـ، أمام البرتغاليـين الذين أخضعوا جـزر البحرين في ٩٢٨هـ، وقاتلـوه بقوة كبـيرة قوامها (٢٠٠) سـفينة هرمزيـة على متنهـا (٣٠٠٠) مقاتل مـن الفـرس والعرب، بزعامة وزيـر هرمز رئيـس شرف الدين و (٧) سـفن برتغالية على متنهـا (٤٠٠) مقاتـل برتغـالي بقيـادة انطونيو كوريـا الذي تـولى القيادة العامـة،[٣] فكانت هـذه القـوة الضاربـة فـوق إمكانيـات الجبـور للمقاومـة رغـم الاستبسـال في الحـرب والمعركـة، ولكنها انتهـت بهزيمة جيش مقرن لصالـح البرتغاليـين، وكان الأمير مقرن بن زامـل قـد أُسِر في المعركـة، فـمات ربـما متأثـراً بجروحه بعد بضعـة أيام.

دولة آل مغامس (٩٣٢ ـ ٩٥٣هـ)

كان آل مغامـس حكّامـاً عـلى البـصرة والتـي تقع شـمالاً من جهـة الأحسـاء، وكانت بدايـة دخولهـم على السـاحة الأحسـائية بعيد تـردّي الأوضاع في الأحسـاء بمـوت الأمير مقـرن بـن زامـل الذي اسـتعان في وقت سـابق بحاكم البصرة راشـد بن مغامس لمـا تمرُّ به البـلاد مـن حقبةٍ حرجة وظروف معيشـيّة وأمنيّـة صعبة، فانتهز آل مغامـس تلك الفرصة للتدخـل في الحسـا وضمّهـا إلى ممتلكاتهم وذلك في سـنة ٩٣١هـ، وأصبح زعيمهم راشـد

١ . العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٩١.

٢ . تاريخ البحرين وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٦٨.

٣ . العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٧٦.

بن مغامس يلقّب بـ «سلطان البصرة والحسا والقطيف».[1]

لم ينقطع محمل الحج الأحسائي في معظم الأحيان رغم الصعوبات والعقبات التي تحفُّ بطريق الحاج، فبعد سقوط الدولة الجبريه بعد مقتل أبرز حكّامها الأمير مقرن بن زامل الجبري على أيدي البرتغاليين سنة ٩٢٨هـ، وسقوط دولتهم سنة ٩٣١هـ، دخلت الأحساء ونجد تحت حكم آل مغامس، فكان من ركبهم وأميرهم في الحجّ الشيخ راشد بن مغامس، وكانت قافلته تضمّ الحجاج القادمين من البصرة والأحساء في موكب واحد عرف واشتهر حينها بـ «قافلة الشرق»،[2] في إشارة إلى ضخامة القافلة، وكانت انطلاقتها من الأحساء، بالإضافة إلى جميع الحُجَّاج القادمين إلى بلاد الحرمين عبر شرق الجزيرة العربية من بلاد الهند وفارس وغيرها.

ويظهر أنَّ الشيخ مغامس قاد الحجيج إلى الديار المقدسة بعد سنة ٩٢٨هـ، واستمرّ لعدة أعوام متوالية، ففي سنة ٩٣٣هـ قاد السلطان راشد بن مغامس «أمير الأحساء ونجد» قافلةً للحج؛ حيث قام في يوم الأربعاء السابع من ذي الحجة بالوصول إلى مكة.

يقول بن فهد: «وتتابع حاجّ الشرق وفيهم سلطانهم الجديد وهو الشيخ راشد ابن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل سلطان البصرة والحساء والقطيف، ورفقته خمسة آلاف نفس على رواحل، و بركوا في الأبطح على عادتهم، وكانت ولاية سلطانهم للشرق في سنة إحدى وثلاثين وتسع مئة».[3]

---

١ . العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٧٩.

٢ . قافلة الحج الأحسائية والسلطة العثمانية في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، عبد الكريم بن عبد الله الوهبي، السجل العلمي للندوة العالمية الثامنة لدراسة تاريخ الجزيرة العربية، إصدار: مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م: ٢٢٥.

٣ . قوافل الحاج المارة بالعارض، راشد بن محمد عساكر، مصدر سابق: ٨١.

وفي سنة ٩٣٩ هـ، كان أمير الأحساء «فَيْرُوز شاه قطب الدّين»، أحد أمراء آل مغامس، وقد قاد ركب الحجيج في هذا العام.[١]

ويشير ابن فهد في حوادث سنة ٩٤٠ هـ ـ اليوم الثالث من شهر ذي الحجة ـ قائلاً:

«وفي صبحها وصل لمكة حاجٌّ كبير من الشرق، فيهم الشيخ مبارك بن محمد ابن سلطانها الشيخ مبارك بن راشد المسعفي، ويقال عدد من معه فوق عشرة آلاف نفس ... و رخص القماش الهندي بوصولة صحبتهم».[٢] ولعلّ القول برخص القماش الهندي حينها إشارة إلى مرافقته أعداد كبيرة من الحاجّ الهندي، مصطحبين معهم البضائع المختلفة من الأقمشة وغيرها بكمّيات مما أدّى لرخصها في السوق المحلي مع كثرة العرض.

ويتابع بن فهد في حوادث سنة ٩٤٢ هـ، في [يوم] السبت ٦ ذي الحجة ذكر أنه:

«وصل لمكة حاج كبير من البحر شاماً و يَمَناً، وكذا من الشرق، ومنهم سلطان البصرة راشد بن مغامس المنتفقي بجمع كبير يقال نحو عشرين ألف نفس، وكان دخولهم لمكة في سابع ذي الحجة ونزلوا عند جبل حراء».[٣]

وهذا العرض السريع لبعض قوافل الحج التي خرجت بقيادة الشيخ راشد، يعطينا نفس الصورة التي كانت إبان الدولة الجبرية من الأعداد الكبيرة التي تخرج ضمن موكب واحد ضمّ الحجاج من الأطراف المختلفة ممن يسيرون عبر طريق حاج الأحساء، سواء من أهل شرق الجزيرة العربية أو القادمين عبر البحر من مختلف الأقطار كالهند و إيران وغيرهما من الدول المختلفة.

***

١ . الشلي، جمال الدين بن علوي بن أبي بكر، السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، مخطوط: ٢٥١ـ٢٥٥.

٢ . قوافل الحاج المارة بالعارض، راشد بن محمد عساكر، مصدر سابق: ٨١.

٣ . قوافل الحاجّ المارّة بالعارض، م. ن، : ٨١.

الدولة العثمانية الأولى (٩٥٧ ـ ١٠٨٢ هـ)

مع إطلالة عام ٩٥٧ هـ، فكّر العثمانيون ببسط نفوذهم في الأحساء خلال القرن العاشر الهجري، حيث الحقبة التي كانت فيها مساعي برتغالية حثيثة للسيطرة على المنطقة، فقد استطاعوا إحكام السيطرة على الأحساء، بعد تنحية آل مغامس منها وإنهاء دولتهم في البصرة والأحساء وإخضاع المنطقتين للنفوذ المباشر للدولة العثمانية، وذلك بعد أن كانت لهم سلطة غير مباشرة عبر حلفائهم من آل مغامس، وقد أرسوا قواعدهم في مختلف أرجائها، وكانت أمامهم مهمة عسيرة، وهي فكّ الحصار عن المنطقة من برائن البرتغاليين الذين كانت لهم فيها أطماع بصفتها منطقة تجارية وبوابة شرقية لبلاد الحرمين، وذلك بعد أن فشلت محاولتهم للوصول لها عن طريق جدّة، الأمر الذي أشعر العثمانيين بضرورة العمل الدؤوب لردع الغازي الكافر ـ كما يعبر العثمانيون ـ عبر تكثيف الحماية في المنطقة، وتحرير ما استطاع البرتغاليون بسط نفوذهم عليه كالبحرين والقطيف التي أعلنت في سنة ٩٥٧ هـ أنهم لا يدينون بالولاء لهرمز، وأنهم يضعون أنفسهم تحت حماية العثمانيين الذين قاموا بضمّ البصرة إلى دولتهم منذ عهد قريب، ففي وثيقة إلى أمير البصرة تأمره بتعزيز الحماية في الأحساء والعمل على تحرير البحرين، جاء فيها:

«أمرٌ إلى أمراء البصرة... أنَّ والي بغداد علي باشا ـ أطال الله عمره وأدام إقباله ـ قد كتب إلينا رسالة ذكر فيها أن الكفار الحقيرين ـ لعنهم الله ـ قد جاءوا في ١٢ سفينة (قادرغة) وسفينتين (قليون)، ووصلوا إلى البحرين، وبدأوا يتصلون بسفن التجار، ويضرّون السواحل القريبة من البحر ومن أراضينا المحروسة ويتعدّون على بعض قلاعنا، فيجب أن تهتم أنت بالأمور وترسل ١٠ سفن إلى منطقة الأحساء، لتحافظ عليها من العدوان وتدفع الشرّ عن أهلها، كما تقوم أنت بمدافعة الأحساء ويكون والي بغداد و والي شهر الزور وأمرتهم في رسائلي التي أرسلتها إليهما أن يعاونوك عندما

يجيء العدوان من الكفار ـ لعنة الله عليهم ـ إلى سواحل مملكتنا، وأمرتهم أن يعاونوك في البر ويسوقون الجيوش تحت أمرك كما تكون السفن في البحر تحت أمرك، لتدافع بوجه مناسب على ما تراه حسناً عن أراضينا في السواحل ويجب أن تبقى في الدفاع عن المنطقة إلى أن يجيء أمير أمراء جديد إلى الأحساء، وإذا جاء أمير أمراء الأحساء، لا تهتم باستقباله وتترك موقفك عن الدفاع، ويجب أن تضع عدداً من الجنود في القلاع ليحافظوا على المملكة بدقة».[1]

هذه الوثيقة المهمّة تبيّن المقدر الذي تحتله الأحساء من أهمية لدي الدولة العثمانية ليتم كتابة أمرٍ سامٍ لحمايتها من قبل السلطان العثماني نفسه، ما تؤكّد هذه الوثيقة بأشد القول على الاهتمام والحفاظ عليها من الأعداء.

وهذا الاهتمام نابع من نظرة العثمانيين إلى الأحساء بأنها خط الدفاع الشرقي عن الأماكن المقدسة،[2] وجعلت تركيزها الأساسي والأول على القوة البرية بدلاً من البحرية، لأنَّ مركز القوى البحرية متمركزة في السويس وهي مسافة بعيدة للاستعانة بها في حـ ب سريعة وتعيش المفاجآت.

ونجد في وثيقة أخرى بتاريخ قريب من الأولى، ما يؤكد على أهمية أمن الأحساء من البرتغاليين وعدم السماح لهم بوضع قدم في هذه البلاد بشتى الوسائل والسبل، ففي رسالة بالأرشيف العثماني خلال عهد السلطان سليم الثاني بن سليمان القانوني (٩٣٠ـ٩٨٢هـ) موجّه إلى أمير أمراء البصرة، جاء فيها: «أمرٌ إلى أمير أمراء البصرة... أنّ أمير الأحساء كتب إلينا رسالة ذكر فيها أنه إذا ترك أمر فتح البحرين فإنه من المحتمل أن تمتلئ المنطقة بالكفار (البرتغال). ويكون لهم قاعدة بحرية، ولهذا الأمر

١ . بابكور، إعداد عمر سالم، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، إشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف البحراوي، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، غير منشورة: ٣٤٩.

٢ . حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين، مصدر سابق: ٣٤٨.

لـو كان لدينـا سـفينتين (قادرغـة) من الأسـطول الموجـود في البصـرة، وأيضـاً إلى حفظ أمـن المنطقـة يمكـ أن يكتفـي بـالآلات والأدوات الموجـودة، فـإذا وصلـك أمـري هذا فأرسـل سـفينتان (قادرغة) للدفـاع عن الأحسـاء، واجمع من الجيش ما يكفـي لحفظ أمن هـذه المنطقـة، وأيضاً اجمع ما تقـدر عليه مـن الآلات والأدوات الحربية وأرسـلها إلى أمير الأحسـاء واهتمـوا جميعكـم لحفـظ الأمن مـن الكفـار، ولا تسـمحوا لهم بالدخـول إلى المنطقـة واحـذروا على ألّا يـضرّوا أي ضرر للبحرين وأيضـاً أكتب إليّ عن أحـوال الكفّار والوقائـع التـي تجـري في المنطقة مفصّلة و مشـروحة في رسـالة طويلـة ولله الحمد».[1]

هـذه لمحـة موجزة عـن العناية العثمانيـة بالوضع الأمني في الأحسـاء مـن جهة الخارج والبحـر ومـا تعنيـه لهـم مـن أهميـة دينية وسياسـية، لمـا يشـكله موقعها مـن بوابـةٍ لقدوم الحجـاج الذاهبـين إلى الحـج عن طريق الأحسـاء.

ويلخـص لنا الدكتـور عبدالكريـم المنيف الوهبـي المنزلة والأهمية العظمى للأحسـاء بالنسـبة للعثمانيـين في نقاط يعنينا منهـا التالي:

* اسـتخدام موانـئ الأحسـاء كقواعـد إمداد ومسـاندة أثنـاء الحملات عـلى القواعد البرتغاليـة في الخليـج [الفـارسي] كهرمـز ومسـقط، وكذلـك أثنـاء المواجهـات البحريـة بسـبب قـرب موانـئ المنطقة النسـبي من تلـك القواعد لاسـيما القطيف مقارنة بالبصـرة وبقيـة قواعـد العثمانيـين في المشـرف، إضافـة إلى أهميتهـا في مراقبـة النشـاط الملاحـي للبرتغاليين.

* إنّ سـيطرة البرتغاليـين عـلى الأحسـاء سـيمنحهم القـدرة عـلى تهديـد الأماكـن المقدسـة في الحجـاز عـن طريـق البـر، بعـد أن تعـذّر ذلـك عـلى البرتغاليـين عـن طريـق البحـر الأحمـر نتيجـة للصعوبـات التـي واجهوها هنـاك، فمع إحـكام السـيطرة العثمانية عـلى بقية سـواحل شـبه الجزيرة العربيـة تقريبـاً وصعوبة قيـام أي حملة عسـكرية برية من

١ . حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين، مصدر سابق: ٣٥٨.

الساحل العماني الخاضع للبرتغاليين بسبب خطورة عبور صحراء الربع الخالي، لذا فإنّ الأحساء سيكون أيسر منطقة على الخليج [الفارسي] يمكن من خلالها إنزال قوات برتغالية، ومن ثم اختراق شبه الجزيره العربية إلى الحجاز، وعلى الرغم من صعوبة تنفيذ هذا التهديد.[1]

ورغم أنّ التصوّر للفكرة قد يكون مبالغاً فيها، إلّا أنّ حقيقة الأمر يقول خلاف ذلك، ففي خطاب من ألفونسو البوكيرك رائد الوجود البرتغالي في منطقة الخليج إلى قيادته السياسية في لشبونة سنة ٩٢١هـ، تطرّق أثناء حديثه عن أهمية البحرين، وبقية ممتلكات الجبور إلى سهولة مهاجمة مكة المكرمة انطلاقاً من الحسا، فقال: «لأنها لا تبعد عن البحرين والقطيف إلّا بست عشرة مرحلة،[2] في حالة الاعتماد على الجمال وتلك مسافة قصيرة جدّاً».[3]

وكان العثمانيون مدركين لمثل هذا الخطر والتفكير لدى العدّو البرتغالي، يقول بابكور: «لهذا نجد أنّ الدولة العثمانية رأت أن تركز على القوّة البرية في الساحل الشرقي للجزيرة العربية، وذلك لعدم إعطاء البرتغاليين الفرصة لتهديد الأماكن المقدسة (مكة المكرمة والمدينة المنورة) عن طريق البرّ من الساحل الشرقي».[4]

* إنّ ضم العثمانيين للأحساء سيزيد من مساحة الأراضي التي تقع تحت إدارتهم وسيمنحهم قواعد ثابتة في عمق الصحراء، الأمر الذي سيعزّز من قدرتهم على الاتصال والتأثير على قبائل البادية ومراقبة أوضاعها عن كثب، مما يمكنهم من إحكام قبضتهم الأمنية نسبياً في منطقة جنوب العراق والمناطق المجاورة للأحساء في شبه

١ . العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ١١٣ .

٢ . المرحلة سيره يوم عندهم، والتي تقدر بين ٤٠ . ٧٠كم.

٣ . العثمانيون وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ١١٤ .

٤ . حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين، مصدر سابق: ٣٤٧.

الجزيرة العربية، حيث سيضيّق مساحة الملاذ الآمن للقبائل المتمرّدة مما سيحدّ من قدرتها على المناورة وخلق المصاعب للإدارة العثمانية في تلك المنطقة.[1]

وقد أسهمت السيطرة على الأحساء وبسط نفوذها على القبائل التي تقطن البادية باتجاه الديار المقدسة بالتخفيف النسبي من الغارات التي كان يعاني منها الحجاج أثناء رحلة الحج في معظم الأحيان.

وقد استخدمت في سبيل ذلك منهج الترغيب تارةً والترهيب تارةً أخرى، وإن كانت نجد بشكلٍ عام علاقتها بالأحساء لاتتعدّى السيادة الإسمية، كإعلان بعض أمراء بلدانها أو مشايخ قبائلها الولاء والتبعية بحكم مصالحهم مع الأحساء دون وجود مظاهر عملية توضح أنها كانت خاضعة للسيادة العثمانية وأنها ضمن التنظيم الإداري الفعلي لإيالة الحسا.[2]و[3]

والنتيجة التي ننتهي إليها هي أهمية موقع الأحساء استراتيجياً وجغرافياً بالنسبة للخليج [الفارسي]، فقد كانت الأحساء هي الرحى التي دارت عليها الحرب، فكانت أغلب الحملات العثمانية تخرج من بيلربكية الحسا والقطيف للهجوم على قاعدة البرتغال في هرمز، ضد الحملات البرتغالية الصليبية، عن الأراضي المقدسة.[4]

بقي أن نشير إلى جزئية مهمة وهـ المكانة والموقعية التي تحتلها الأحساء مقابل المناطق الرئيسية والحيويّة كالبصرة وبغداد في نظر السلطان العثماني، أو لنقل الرتبة الإداريه لأمير أمراء الأحساء مع أميري أمراء البصرة وبغداد، وذلك من خلال

---

١ . العثمانيون وشبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ١١٩ .

٢ . إيالة: كلمة تركية تعني «جزء» في اللغة العربية، و«إيالة الأحساء» أو «ايالت الحسا»: أي جزء أو مقاطعة تابعة للسلطنة العثمانية في تلك الحقبة.

٣ . العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ١٧٦ .

٤ . حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين، مصدر سابق: ٤١٣ .

مرتّب الثلاثة والعطاء الذي تبذله الدولة لهم، إذ من المعروف أنّ مناطق النفوذ العثماني تختلف من حيث الأهمية من مكان إلى آخر تبعاً ما للموقع من تأثير وموقعية في نظر السلطان العثماني، والوثائق تشير إلى أنّ مرتب أمير أمراء الأحساء يتساوى في الراتب مع مثيليه في البصرة وبغداد، لما له من أهمية ومنزلة.

ففي القرن العاشر اشتكى أمير أمراء الإيالة (الحسا) من قلة مرتبه السنوي والتمس زيادته، وكان مرتبه السنوي، ممائلاً تقريباً لمرتب شاغلي منصب أمير أمراء إيالتي بغداد والبصرة، حيث ترد الإشارة في أحد الأحكام السلطانية إلى التماس أمير أمراء إيالة الحسا بزيادة مرتبه أسوة بزيادة مرتب زميليه في بغداد والبصرة، حيث أنّ راتبه كان مساوياً لمرتبهما قبل زيادتهما.[1]

العناية بطريق الأحساء ـ الحجاز:

حرص العثمانيون منذ أن وطأت أقدامهم الأحساء على تأمين طريق الحاج إضافةً إلى المحافظة على حزام الأمن الشرقي للحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة، لذا أولوا الطريق عنايةً خاصة واهتماماً بالغاً يتمثّل في متابعة شأنه الأمني، من خلال توفير متطلبات الحجاج فيه طوال رحلة الحج القادمة من طريق الأحساء، منها ما يتطلّب وضع النظم الكفيلة بتوفير الأمن للراغبين في الحج، حسب توجيهات السلطان العثماني لوالي الأحساء، فقد ورد في وثيقة سلطانية ما نصه: «وأطلب منك أن تخبرني هل نَبع أيُّ ماءٍ في قلعة الأحساء الداخلية أم لا، وأنّ القلاع الموجودة ما بين مكة والأحساء، تفيد أنّ شيوخ هذه البلاد والقلاع قد أطاعوا حكمك».[2]

ولم يقتصر الحرص للسلطنة العثمانية على أمن الطريق فقط بل شمل العناية باختيار

١ . العثمانيون و شرق شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق: ١٨٩ .

٢ . حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين، مصدر سابق: ٣٦٦.

الطريق المناسب والأفضل من حيث البعد والقرب، الوعورة والسهولة، والآمن والخطر، لذا كانت التوصيات في وثيقة تركية سلطانية جاء فيها:

«أمرٌ إلى أمراء الأحساء، أنك ذكرت لنا أنّ المسافة من الأحساء إلى مكة عشرون يوماً، وتسألنا الإذن لمرور الحجاج، وأنّ منطقة الحجاز تستفيد والدولة تستفيد أكثر من ذهاب الحجاج من الأحساء إلى مكة، فحقق لنا هذا الأمر، هل يوجد فائدة في أن نرسل أي إذن ورخصة، واكتب لنا أي جهة تكون أفضل وآمن لذهاب حجاج الأحساء إلى مكة».[1]

إغلاق طريق الحجّ الأحسائي:

فقد كان الحج في سنة ٩٧٢هـ، عن طريق الأحساء متعثّرًا، إما لوجود قُطّاع الطرق وعدم إمكانية السيطرة عليهم، أو بسبب الضرائب التي يفرضها الأعراب على الحجاج مما يجعل السير في طريق الحج الأحسائي مجازفة غير محمودة العواقب.

لذا كان الأمر من السلطانة العثمانية في تركيا بإرسال خطاب بتاريخ الأول من شهر ربيع الآخر من عام ٩٧٢هـ، مفاده: «بموجب الحكم الصادر إلى بيلربي،[2] الأحساء لإرسال الحجاج من طريق الشام ومصر نظراً لإغلاق طريق الأحساء»،[3] وهذا يعني نقل حجاج الأحساء عبر البحر إلى الشام ومصر قبل موسم الحج بفترة ليست

---

١ . حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين، مصدر سابق: ٣٦٦.

٢ . بيلربي: كلمة تركية معناها في اللغة العربية «سيد الأسياد». وهي في الأصل «بيكلربكي»: أمير أمراء «الرتبة الثانية من رتب الباشوية»، وتلفظ (بيلربي) لأن الـ اف الفارسية ياء. المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، الدكتور محمود عامر، مجلة دراسات تاريخية، العددان (١١٧ـ١١٨)، كانون الثاني، حزيران لعام ٢٠١٢م: ٣٧١.

٣ . كورشون، أ. د زكريا، د. محمد موسى القريني، سواحل نجد «الأحساء» في الأرشيف العثماني، الدار العربية للموسوعات: بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م ـ ١٤١٦هـ: ٢١.

بالقصيرة، حتى يتمكنوا من مرافقة مواكب الحج المصري أو الشامي التي تمّ رصد حماية قوية لها أمام هجمات قُطّاع الطرق من أبناء القبائل البدوية ممن يستغل موسم الحج للنهب والسلب، أو فرض ضرائب باهظة على الحاج عند العبور عن طريق الأراضي التي تحت سيطرتها.

علماً أنّ إغلاق الطريق يعني إحكام سيطرة القبائل على طول الطريق وفقاً للمراقبين التابعين للدولة مما يعني العبور من الطريق المعتاد فيه مجازفة كبيرة قد تعرض حياة الحجاج للخطر وسلب جميع مقتنياتهم.

الحجُّ و الصراع العثماني الصفوي:

وتجدر الإشارة أنه يوجد تفسير آخر لحقيقة إغلاق طريق الحج الأحسائي ونقله عبر الشام التي تبعد مسافة بعيدة عن الأحساء، والسير عبره يعني الكثير من الخسائر المادية على السـ حليين لما في تكلفة هذه الرحلة من مبالغ كبيرة، إضافة إلى فقد الرسوم الضرائب التي كانت تستفيد منها إيالة الأحساء للقادمين عبرها من حجاج الهند وفارس مقابل توفير الحماية لهم في طريق الذهاب والعودة إلى الديار المقدسة، وهو الأمر الذي يذهب إليه الدكتور الوهبي من أنَّ الدولة العثمانية بعد بسط نفوذها في الأحساء واستقرار حكمها بزوال الخطر البرتغالي سنة ٩٥٤هـ واستحكام الصراع مع العدّو الصفوي في بلاد فارس قرّرت السلطة العثمانية أن تستثمر الحج كوسيلة ضغط في الصراع الدائر بينهما، خاصة وأنّ الحجاج القادمين من بلاد فارس عبر الأحساء يشكّلون نسبة كبيرة جدّاً لا يستهان بها، وكانوا يستفيدون من هذا الطريق كونه بعيداً عن النفوذ العثماني في الفترات السابقة.

وكانت قد أغلقت قبل ذلك طريق الحج البرّي للإيرانيين القادمين من المناطق الشرقية للحدود الإيرانية والمتجهة إلى العراق ومنها إلى الحجاز، وهذا مما لا شك

يسهم في إحراج الدولة الصفوية أمام سكّانها ويشكّل ضغطاً داخليّاً،[1] لرغبة الأهالي بالذهاب إلى الحج وأداء الشعيرة الدينية، وضروره علاج المشكلة وإيجاد حلٍّ مع العثمانيين، بعد سيطرتهم على جميع المنافذ المؤدية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وفعلاً نجح المسعى التركي بتشـ يل ضغط على السلطة الصفوية ولم يفتح الطريق إلّا بعد معاهدة أماسيا،[2] بين الطرفين سنة ٩٦٢هـ، فقد تم السماح رسمياً للرعايا الصفويين بأداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة في العراق، وذلك وفق ضوابط وشروط محددة.[3]

وهذا يعني أنّ المنع وإغلاق طريق الحج الأحسائي كان مقصوداً ومتعمداً وليس لأسباب أمنية فقط كما هو التصور للوهلة الأولى، والذي كان ما يحدث خلال العصور المنصرمة من تاريخ الحج الأحسائي.

فقد كانت التعليمات من الآستانة،[4] في تركيا بالتشديد بشكل متكرّر على السلطات

---

١ . قافلة الحج الأحسائية والسلطة العثمانية في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، مصدر سابق: ٢٢٧.

٢ . معاهدة أماسيا: معاهدة تمت التوقيع عليها في (٢٩) مايو (١٥٥٥م) بين شاه طهماسب من إيران الصفويّة والسلطان سليمان القانوني من الإمبراطوريّة العثمانيّة في مدينة أماسيا بتركيا، بعد الحرب العثمانيّة الصفويّة (١٥٣٢ـ١٥٥٥م) حددت المعاهدة الحدود والقواسم بين دولة إيران والإمبراطوريّة العثمانيّة وأعقبها عشرون عاماً من السلام، وبموجب هذه الاتفاقيّة يضمن العثمانيون وصول الحجاج الفارسيّين إلى المدن المقدسة الإسلاميّة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكذلك زيارة الأماكن المقدسة الشيعيّة في العراق.

٣ . قافلة الحج الأحسائية والسلطة العثمانية في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، مصدر سابق: ٢٢٧.

٤ . الآستانة: هي (بالتركية العثمانية: آستان) بمعنى «عتبة السلطان» أو «عتبة الحكومة»، وهي الآن إسطنبول ثاني أكبر مدينة بتركيا، والذي قام بتغيير اسمها هو آتاتورك قائد الثورة التركية العلمانية.

المحلية في كلٍّ من إيالتي البصرة والحسا بإيقاف قافلة الحج عبر الطريق المباشر للحجاز، ومنع الأهالي في الأيالتين من التوجه إلى الحج مباشرة رغم قربهما إلى الحجاز، كما التنويه إلى أنه يجب على الراغبين في الحج منهم الانضمام إلى قافلة إيالة الشام عبر المرور بإيالة بغداد.

ففي قرارٍ صدر من المجلس السلطاني بتاريخ ١٥ رمضان ٩٧٢هـ موجّه إلى كلٍ من أميري أمراء إيالتي الحسا والبصرة بشأن التأكيد على وجوب التزام الجميع بقرار منع استخدام طريق الحج من الأحساء والبصرة، الأمر الذي يشير إلى أنّ المنع سابق لهذا التاريخ، وأنه جرى النقاش في أكثر من مرة، وأنه لا طريق إلى مكة المكرمة إلّا عن طريق برّ الشام، وترد في ثنايا القرار إنّ المنع ليس خاصّاً بالأحساء والبصره، وإنما شامل لأيالة بغداد وأن لا طريـ إلى الحجاز إلّا عبر الشام، الأمر الذي تم التأكيد عليه مراراً وتكراراً.[١]

وفي ثنايا حكم سلطاني مؤرخ في ٢٨ رجب سنة ٩٨١هـ، موجّه من المجلس السلطاني إلى أمير أمراء إيالة الحسا (سنان باشا) مبني على التماس رفعه الأخير بشأن الموافقة على طلب الزعماء النجديين بتولي قيادة قوافل الحج الأحسائية كما كانوا يفعلون بعهد سلفه (عثمان باشا)، أمير إمارة الحسا، كان الجواب بالموافقة شريطة اتباع الطرق المصرح بها للحج.[٢]

وفي حكم آخر بتاريخ ٢٥ شعبان سنة ٩٨٣هـ، موجّه إلى أمير أمراء إيالة الحسا من قبل المجلس السلطاني متعلق بخطاب مرفوع من أمير أمراء إيالة الحسا بشأن إلغائه لضريبة ذات صلة بالحجاج المارّين بإيالته، وأنّ تلك الضريبة تمَّ فرضها على الحجاج

١ . قافلة الحج الأحسائية والسلطة العثمانية في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، مصدر سابق: ٢٢٨.

٢ . م. ن: ٢٢٧.

من قبل أسلافه من أمراء الإيالة، فقد جاء في الحكم تأييد إلغاء الضريبة بما نصّه: «أصبتم حين أبطلتم هذه البدعة»، ولكن بالنسبة للحجاج عن طريق إيالتكم إيالة الحسا، فقد تم: «إبلاغكم في أوامر سابقة بأن يساق الحجاج عن طريق الشام»،[1] فقد كان الغرض من هذا المنع بدرجة أولى خشية أن يسلك الحجاج الإيرانيون هذا الطريق إلى الديار المقدسة و فكّ الحظر المفروض.

وقد استمر الحظر و المنع لعدة سنوات إلى ما بعد سنة ٩٨٩هـ، للغرض والهدف نفسه، وقد تمّ التأكيد في بعض الوثائق العثمانية بصلة المنع بالحجاج الإيرانيين، فقد جاء في بعضها: «ولو سمحنا بفتحه لما أمكن منعهم من سلوكه».[2]

فقد ورد في قرار (فرمان) سلطاني بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى سنة ٩٨٨هـ، موجّه إلى أمراء عدّة إيالات من بينها الحسا، ويتضمن أنّ قرار منع طريق الحج المباشر لا زال مستمراً وعلى الراغبين في الحج التوجه عبر بلاد الشام، وفي السنة التالية لذلك القرار أرسل المجلس السلطاني بتاريخ ١٠ جمادى الأول سنة ٩٨٩هـ من جديد خطاباً إلى أمير أمراء الحسا بخصوص استخدامه طريق الحج من إيالة الحسا ويتضمن التشديد على أنّ منعه ما زال قائماً وعليه ضرورة التقيد به، وأنه على الراغبين في الحج أن يسلكوا طريق الشام.[3]

من جهة أخرى لم يكن قرار المنع مقبولاً ومرضياً عند أمير الأمراء العثماني في الأحساء أو حتى السـ ـان المحليين الذين يرون أنّ الذهاب للحج عن طريق الشام مسألة في غاية العسر والصعوبة ناهيك عن الوقت الزمني الكبير الذي تحتاج إليه في حين أنّ الطريق من الأحساء حدود ٢٠ يوماً.

---

١ . قافلة الحج الأحسائية والسلطة العثمانية في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، مصدر سابق: ٢٢٩.

٢ . م . ن: ٢٢٩.

٣ . م . ن: ٢٢٩.

وفي هـذا الجانب استخدمت السـلطة العثمانية في تركيا سياسـة غضّ الطـرف أو مجرد الإنـذار دون ترتيـب الأثر عـلى ذلك، أو ما يعبر عنه سياسـة التراخي، حيـث المعنى بالمنع ليـس السـ ـان المحليـين بدرجـة أولى، وإنـما القادمـون عن طريـق الحج الأحسـائي وهم الإيرانيون.

لـذا نجـد خلال فـترة المنع مـن خلال المصـادر الكثـير من التجـاوزات التي أشـارت لهـا المصـادر والوثائـق العثمانيـة، بـل والحـرص عـلى تأمـين طريق الحـاج والحـرص على سـلامة السـائرين عليـه من السـكّان المحليين ومـن يرفضون الخضـوع للقـرار العثماني،[1] ولكـن ليـس عـلى شـكل جماعـات كبـيرة التـي عرف بهـا ركـب الحـج الأحسـائي الذي يضـم عـشرات الآلاف مـن الحجـاج، وإنـما قـد يصـل إلى المئـات أو العشرات عـلى هيئة مجاميـع صغـيرة متفرقة.[2]

منهـا أنه في تاريخ ١٩ رمضان سـنة ٩٨٦ هـ، وردت إشـارة إلى تظلـم بعض أهالي إيالة الحسـا من تعديات شـخص يدعي حسـين بـك، وينعت بأنه أمـير الحج السـابق بالإيالة، الأمـر الـذي يعنـي أنّ هنـاك قافلـة حـج أحسـائية وأنّ أميرها أحـد الرسـميين العثمانيين برتبة أمـير لواء.

ومـع ذلك فـإنّ إسـتانبول ركزت عـلى معالجة مظالم حسـين بك وتجنبـت التطرق إلى مسـألة اسـتمرار اسـتخدام طريق الحج الأحسـائي الذي هناك منع من سـلوكه.[3]

والأمثلـة عديـدة التي تؤكد بعـد التراخي وغضّ الطرف على موكب الحج الأحسـائي طالمـا بحجـم أقـل مـن المتعـارف والمعتـاد ولا يضم مجاميـع كبيرة مـن الحجـاج القادمين عـبر البحـر، وإلّا يخلو مـن بعضهم.

---

١ . قافلة الحـج الأحسـائية والسـلطة العثمانيـة في النصـف الثـاني مـن القـرن العـاشر الهجـري، مصـدر سـابق: ٢٣٠.

٢ . م . ن: ٢٣١.

٣ . م . ن : ٢٣٣.

العثمانيون واستقطاب مناطق طريق الحج الأحسائي:

نظراً لما يحقّقه تأمين الطريق للحجاج القادمين من الأحساء إلى مكة المكرمة من استمالة عاطفية للسلطنة العثمانيّة آنذاك وشرعنة وجودها، وما يمثّله لها من هيبة وعزّة فقد دأبت على تأكيد هذا المعنى في النفوس، فعمدت إلى سلوك أكثر من سبيل.

ومع كلِّ ما ذكرناه فإنّ عقبات الحج وطريق الحاج لها أكثر من بعد، فقد استمرت الصعوبة في الحج نتيجة للمضايقات المستمرة من البدو وقُطّاع الطرق.

لذا حرصت الدولة العثمانية والتي آلت على نفسها تذليل مثل هذه العقبات بالإغراء المادي تارة، وبعمل التحالفات تارة أخرى، وبالعنف وخوض المعارك مع المعتدين إن لزم الأمر.

وهنا وثيقة هامة تتحدث عن حج سنة ٩٨١هـ، تؤكد خروج قافلة الحج الأحسائية وبأعداد ليست بالقليلة كما يظهر وهي كالتالي: «أمرٌ إلى أمير أمراء الحسا،[1] (الأحساء): إن أمير أمراء الأحساء السابق عثمان،[2] سبق أن كتب خطاباً ذكر فيه أن شيوخ ولاية نجد وهم: شيخ قلعة التي تسمى دليم (الدلم) عيسى بن عثمان وشيخ

١ . هو سنان باشا (٩٨١ـ٩٨٢هـ)، فقد تم تعيينه على إيالة الحسا في شهر رجب سنة ٩٨١هـ، خلفاً لعثمان باشا، وقد أستمر وجوده كأمير أمراء الحسا لمدة ستة أشهر، حيث توفي في إيالة الحسا في أوائل صفر تقريباً سنة ٩٨٢هـ لمرض ألم به. العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية «إيالة الحسا»، مصدر سابق: ٢٣٠.

٢ . هو عثمان بن آزدمود باشا (٩٨٠ـ٩٨١هـ) فأول إشارة تشير لوجوده في الأحساء أواخر رجب ٩٨٠هـ، خلفاً لعلي باشا، ويعتبر عثمان باشا من أبرز أمراء الإيلات العثمانية في تلك الفترة، وكان قوي الصلة بالمنطقة العربية حيث كان والده آزدمود أحد قادة المماليك في مصر، وبعد سقوط دولتهم عمل في السلك العسكري العثماني حيث تولي إمارة اليمن، ثم إلى الساحل الغربي، ثم إلى إيالة الحسا سنة ٩٨٠هـ، ثم نقل إلى إيالة البصرة في صفر سنة ٩٨١هـ العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية «إيالة الحسا»، مصدر سابق: ٢٢٩.

قلعة التي تسمى درغية (الدرعية) إبراهيم بن موسى، و شيخ قلعة التي تسمى سلمية (السلمية) حسين ابن أبو اللويطة، وشيخ قلعة التي تسمى مليح (ملهم) حمد بن عطاف (عطا)، طلبوا منه الاستمالة، ونتج عن ذلك أن وصل الحجاج ذوو الابتهاج في العام الماضي إلى الديار المقدسة بأمن وأمان... وكان الحجاج راضين عنهم شاكرين لهم، ثم ذكر أنّ مرور الحجاج بالمذكورين ـ أي الشيوخ المشار إليهم بعاليه ـ ومرافقتهم إياهم أنفع وأولى، وبناءً على عرضه ذلك فقد أمرت: إنك إذا رأيت أنّ الشيوخ المذكورين إذا رافقوا الحجاج إلى مكة المكرمة، فلتعط لهم الاستمالة الحسنة كما كان، فلترسلهم معهم حتى يقوموا بمرافقة حُجّاج المسلمين وليكونوا حذرين ولا يمرّوا بالأماكن الممنوعة، بل يتوجهون معهم من الأماكن المعتادة حتى يعود الحجاج بأمن وأمان، ولتدارك الأمر على وجه حسن، ولا تفوّت دقيقة واحدة في الاهتمام بهم»... في ٢٨ رجب ٩٨١هـ.[1]

هذه الوثيقة نخرج منها بعدة نتائج هامة من أبرزها:

أولاً: بعد تولي الخليفة العثماني سليم الثاني (٩٣٠ـ٩٨٢هـ)، مقاليد الحكم بعد والده السلطان سليمان خان (٩٠٠ـ٩٧٤هـ)، سار على نفس المنهج والمنوال التنظيمي الإداري الذي كان متبعاً في عهد والده، والذي كان من أهم جوانبه وأولوياته المحافظة على سلامة الحاج لجعل مصداقية للقب الذي عرف السلاطين العثمانيين (خادم الحرمين الشريفين)، وهو لقب يترتب عليه مسؤوليات والتزامات لعل من أهمها معالجة صعوبات ومشاكل طريق الحاج بمختلف طرقه.

فبعد أن سيطر العثمانيون على الأحساء بشكل كامل عام ٩٥٧هـ، وأصبحت خاضعةً لسلطتهم، وتحت حمايتهم، وكان طريق الحاج الأحسائي كغيره يعاني مشكلة

١. قوافل الحج المارة بالعارض من خلال وثيقة عثمانية مصدر سابق: ١٠٣.

قُطّاع الطرق والضرائب التي تفرضها القبائل عند المرور بأراضيها، نجد الوالي السابق على الأحساء «عثمان» في سنة ٩٨٠هـ، قد اتّخذ تدبيراً مناسباً لعلاج المشكلة وهو قيامه بـ كاتبة أمراء البلدان النجدية الواقعة في طريق الحاج الأحسائي، وطلب منهم القيام بمرافقة الحجاج وحمايتهم وصولاً إلى الديار المقدسة والعودة منها، وفرض لهم (استمالة)، وهي عطايا مادية ومعنوية لضمان استجابتهم وتفاعلهم، وقد طلب من الأمير الحالي السير على نفس النهج والمسلك لضمان سلامة الحجاج في رحيلهم وإيابهم.

ثانياً: إنّ الرسالة والعطايا المطلوب كتابتها موجهة إلى أربعةٍ من أمراء المناطق الواقعة على طريق الحاج الأحسائي، وهم:

١ـ أمير الدلم: الشيخ عيسى بن عثمان.

٢ـ أمير الدرعية: الشيخ إبراهيم بن موسى.

٣ـ أمير السلمية: الشيخ حسين ابن أبو اللويطة.

٤ـ أمير ملهم: الشيخ أحمد بن عطا.

ثالثاً: حرص الخليفة العثماني على عدة أمور ينبغي تأمينها للحجاج، وهي كما استشففناها من الوثيقة:[1]

* إبعاد الضرر عن الحجاج المسلمين.

* ضمان سلامة طريق الحج والسعي لحفظه وأمنه.

* إعادة الحجاج بعد انتهاء الحج، إلى البلد سالمين.

* التوجه نحو الأماكن المعتادة، وعدم المرور في الأماكن الممنوعة لطريق الحج، وتجنب ما قد يحدث من إشكالات.

---

١ . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ١٠٥ـ١٠٦.

* العناية بالحجاج قدر الإمكان، وأن يضعوا نصب أعينهم هذه التعليمات للاهتمام بها.

والملفت أنّ الرسالة لم تتضمن الكتابة إلى أميري مقرن (الرياض) ومعكال (العيينة)، والتي هي من طرق الحاج الأحسائي التـ لا يمكن تغافلها، وهذا ربما يعود لوجود رسالة أخرى لم تتضمنها هذه الوثيقة، أو وجود اتفاق مسبق معهم، كما يحتمل الأمن لجانبهم على سلامه الحاج لذا لم تتم الإشارة لذلك.

رابعاً: إنه عبر بلفظة (حجاج المسلمين) ولم يعبر بـ(حجاج الأحساء) مما يؤكد أنّ طريق الحج الأحسائي كانت ترده أعداد غفيرة للحج عن طريقه من بلاد فارس والبحرين وقطر والهند ـ في بعض الأحيان ـ، وغيرها من المناطق المختلفة، مما يجعل سلامته من الأمور الهامة جعلت أعلى سلطة في الدولة العثمانية هي من تخاطب الوالي على الأحساء بشأنه.

خامساً: يوجد هناك أكثر من طريق أحسائي إلى الديار المقدسة، إذ يقول: «وليكونوا حذرين ولا يمروا بالأماكن الممنوعة، بل يتوجّهون معهم من الأماكن المعتادة حتى يعود الحجاج بأمن وأمان»، وهذا الأمر يكشف السرّ الدفين في اختلاف ذكر المناطق التي تعرّض لها الرحّالة والحجاج في سفرهم إلى الديار المقدسة، وهو العبور من بعض الطرق المحذورة التي تكون أكثر عرضةً للسّراق وقُطّاع الطرق خاصة البعيدة عن سلطة هؤلاء المتفق معهم على حماية الحاج وتأمين الطريق لهم.

الحج الأحسائي سنة ٩٨٣هـ:

في ٢٥ من شهر شعبان لسنة ٩٨٣هـ، تم إغلاق طريق الحاج الأحسائي، فما كان من الدولة العثمانية إلّا بطلب إرسال الحجاج السائرين عن طريق الأحساء بأخذهم عن طريق الشام للذهاب إلى الحج، وعدم أخذ أي مبلغ عليهم مقابل ذلك،[1] حيث

١ . سواحل نجد «الأحساء» في الأرشيف العثماني، مصدر سابق: ٢٨.

يظهر أنّ المتصرّف السابق للأحساء كان سيّء التعامل مع الحجاج وغليظ السلوك، مما تسبب في إزعاج عام منه، فقام أهالي ومشايخ وأعيان وعلماء الأحساء بإرساله رسالة طلب تغييره، وقد تم تبديله الأمر الذي أصبح مصدر ارتياح لهم، فـ تبوا كتاباً للسلطان يعبّرون عن ارتياحهم ورضاهم عن معاملة والي الأحساء الجديد للحجاج، وذلك في ٢٤ شوال ٩٨٣هـ.[١]

وقد يكون مصدر الإزعاج تهاونه بالجانب الأمني لسلامة الحجاج، أو فرضه ضرائب باهظة مع الصعوبة المالية التي يعاني منها الكثير من الأهالي، وربما الأمر يكون مرتبطاً بأسلوب المعاملة أثناء أداء مناسك الحج الذي يجعل الحاج في مسيس الحاجة إلى المعاملة الحسنة واتخاذ القرارات التي تكون فيها مصلحة الحاج.

وسوف نتعرّض لمثل هذه النقطة عند الحديث عن أمير الحاج.

الحج الأحسائي سنة ٩٩٢هـ:

في هذه السنة ٩٩٢هـ، يظهر أن الحج الأحسائي كان يعاني من بيلربي الأحساء المدعو أحمد باشا، من ظلم وحيف لجميع رعيته، ومنهم الحجاج، ومع الأسف الملخص لم يوضح نوع الظلم الذي يعانونه منه فكان مفادها:

«بخصوص الظلم التي قام بها أحمد باشا بيلربي الأحساء ضد الأهالي والجند والحجاج»،[٢] ويقول ابن شدقم المدني عن أحداث هذه السنة:

«في سنة ٩٩٢هـ توفي الشريف حسن بن أبي نمي بن محمد بن بركات الحسيني فجلس على سرير ملكه ابنه الأكبر أبو طالب، فعصت البادية وطغت، وقطعوا الطرق فظفر قومٌ من الجُلّاس إحدى طوائف عنزة بسيدين شريفين أحدهما من

١ . سواحل نجد«الأحساء» في الأرشيف العثماني، مصدر سابق: ٢٩.

٢ . م . ن : ٣٥.

الأحساء والآخر من اليمن، وكان معهما عيالهما، فأهانوهما بالضرب والجراحات، وأخذوا جميع أموالهما وأبقوهما عرايا، فركب أحمد النقيب، ومعه الأمير ميزان بن علي النعيري وعلي بن أحمد الدويدار حاكم المدينة يومئذ، فأدركوهم بالصهباء، فاستعادوا ما أخذوه من السيدين، وربط كبارهم، وغنم أموالهم، ثم إنه أخذ منهم العهود والمواثيق أن لا يعودوا لمثلها».[1]

والقصة هنا هي نموذج من نماذج المعاناة التي يعيشها الحاج الأحسائي وغيره من الحجاج في رحلة الحج الطويلة، وأنّ المعاناة في حقيقة أمرها شائكة جدّاً وفي غاية التعقيد، وأنّ الحكومات المتعاقبة سواء على الأحساء أو غيرها كان من العسير السيطرة عليها وضبط الأمن بشـ نهائي.

ومن المفيد الإشارة إلى أنَّ استخدام العنف ضدّ قُطّاع الطرق من أهل البادية يجعلهم يعاودون الكرة مرة بعد أخرى، خاصةً وأنهم أخبر بمداخل ومخارج الصحراء، وسرقة الحاج يعتبر مكسباً سهلاً وسريعاً بالنسبة لهم، وعليه فلا يمكن السيطرة عليهم كلياً كما أشرنا سلفاً.

من زعماء الأحساء في الدولة العثمانيّة:

تزعّم الأحساء أبّان فترة الحكم العثماني العديد من الزعماء، ولعلّ من أبرزهم ما يلي:

الأمير علي باشا الحساوي (١٠٩٠هـ):

كان الأمير علي باشا الحساوي (١٠٩٠هـ) أمير الحاج فترة زعامته على الأحساء،

---

١ . المدني، السيد ضامن بن شدقم الحسيني (كان حيّاً ١٠٩٠هـ)، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، نشر تراث مكتوب: قم، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ٢: ٣٠٢.

وكانت تربطه بأشراف مكة علاقة حسنة، وموكبه للحاج يضمّ أعدادًا كبيرة من حجاج الأحساء والبحرين وبعض المناطق المحيطة التي تبحث عن الحماية والأمان من اعتداءات البدو، ويضمّ هذا الموكب كثيراً من الحجاج الإيرانيين.

وقد أورد لنا صاحب كتاب (تذكرة صفوية)، هذه القصة عن معاناة قافلة الحجّ الإيرانية التي صحبت المحمل الأحسائي في طريق الذهاب والعودة، حيث يذكر في وقائع سنة ١٠٩٠هـ، عن المشاكل والصعوبات مع البدو في الحجاز، وكان هو ضمن القافلة حيث يقول:

«وبعد أداء المير شمس الدين محمّد المستوفي، والميرزا شجاع الخبيصي، ورفاقهما في قافلة فريضة الحج، فقد أجريت مشاورات تقرّر إثرها أن يكون طريق العودة إلى إيران عن طريق الشام؛ لكونها الأفضل، إلّا أنَّ البعض لم يحبذ هذا الرأي، وكان يرى أنّ طريق الأحساء هو الأقرب، وقد حسّن السيد جواد بن السيد إسماعيل ـ الحملدار ـ هذا الرأي [الثاني]، في نظر الميرزا شجاع، مبيناً له بعد المسافة إذا ما سلكت القافلة طريق الشام، إضافة إلى زيادة المصروفات، وما يصيب أفراد القافلة من تعب وإرهاق، مقنعاً إيّاه بالعودة من طريق الأحساء.

وفي أحد الأيام عرض الميرزا شجاع هذا الرأي [سلوك طريق الأحساء]، على الميرزا المستوفي، ولكنه رفض وأصرّ على أن تكون العودة عن طريق الشام، وأخيراً ـ بعد مناقشات ـ تقرّر العودة عن طريق الأحساء، وعلى أثر هذا القرار كانت تعقد بين المستوفي، وبين أمير الحاج المسؤول عن الطريق المؤدي إلى الأحساء و يدعى علي باشا الحساوي، جلسات كان يتمّ مناقشة شؤون الحجيج وعودتهم.

وفي يوم من الأيام ـ وكان يوم السبت ـ و لدى وصول القافلة إلى وادي فاطمة، طلب الحساوي مبلغاً من الضريبة أكثر مما هو متعارف آنذاك، الأمر الذي لم يرضِ المستوفي، حتى وصلت أنباء النزاع بين الطرفين إلى شريف مكة، وقد كان كلّ من المستوفي والميرزا شجاع في تلك الأثناء نادماً على انتخاب طريق الأحساء. لم تثمر

الجهـود في حـلّ النـزاع، فأرسـل شـخص يدعى السـيد بـركات إلى شريف مكـة يعرض عليـه شـكوى حجاج القافلة، فأرسـل الشريـف مبعوثاً من طرفـه يُدعى عثـمان إلى وادي فاطمـة، للقـاء علي باشـا وإبلاغه عدم رضـا الشريف بتصـرّفه من جانب، ولاسـترضاء المـيرزا المسـتوفي وحجـاج القافلـة من جانـب آخر.

بعـد اجتيـاز القافلة وادي فاطمـة ووصولها منطقـة (خليص)، تكـرّرت قضية ضريبة المرور في تلك المنطقة أيضاً، فتوسّـل الحجاج بالميرزا المسـتوفي بصفته إحدى الشـخصيات لحكوميـة لإيجـاد حلٍّ لمشـكلتهم، فأرسـل الميرزا المسـتوفي الميرزا شـجاع مبعوثـاً من قبله يدعـى السـيد بقيّـة ـ وكان مـن أشراف السـادات ـ إلى أمير الحـاجّ في المدينة عسـى أن يجد حـلًّا لهذه المشـكلة، إلّا أنّ مسـاعيه لم تكلـل بالنجاح، فتوجّهـت القافلة للمدينـة المنوّرة، وعـادت بعدهـا إلى إيران عبر البحـر مروراً بالأحسـاء، بمعنى أنّ القافلة عـادت بالطريق ذاتـه الذي كانت قد سـلكته حـين الذهاب [الأحسـاء]».[1]

ومن خلال النص المذكور نستطيع أن نستفيد عدّة أمور، منها:

* إنّ الطريـق الأحسـائي للحـج هـو أقـرب مـن الطريق الشـامي، من حيث المسـافة والبعد بالنسـبه للحجـاج الإيرانيين.

* إنّ البـدو كانـوا يفرضـون عـلى الحجاج ضريبـة باهظة مقابـل مرورهم بسـلام من أراضيهـم، وهـذا الضريبـة تتكرّر بمجـرّد المرور بـأي أرض تقع تحت نفـوذ قبائل مختلفة، ممـا يثقـل كاهل الحـاج بـ ة الضرائـب، ويجعلـه في حرج وضيق شـديديْن.

* إنّ أمـير الحـاج الأحسـائي عـلي باشـا، كان يسـتغل هـذه المسـألة ـ فـرض ضرائب مـن قبـل البـدو ـ لصالحه بطلـب مبالغ كبيرة عـلى الحاج الإيـراني مقابل وصولهـم بأمان.

---

١ . جعفريـان، رسـول، خاطراتـى از سـفرهاى حـج از دوره صفـوى، كتـاب مـاه تاريـخ و جغرافيـا: ١٣٥ . قـام بترجمـة النص المتعلق بالأحسـاء سـماحة السـيد عبـد الهادي السـيد علي الناصر السـلمان، عـن طريـق الدكتور السـيد مرعي الشـخص.

* إنّ حملدار الحجاج الإيرانيين السيد جواد بن السيد إسماعيل كان على دراية بالطريق الأحسائي وما يتمتع به عن غيره، مما يؤكد خبرته السابقة بالطريق.

إلّا أنّ علاقة الأمير علي باشا وأشراف مكة بقيت حسنة ومستمرة لسنوات عدّة بعد هذا التاريخ.

الأمير بكر بن علي باشا (تولى الحكم حدود ١١٤٣ هـ):

تولى الأمير بكر رئاسة الأحساء بعد والده علي باشا، حيث تشير المصادر التاريخية توليه إمارة الحاج في سنة ١١٤٣ هـ، ولم تساعد المصادر على معرفة تفاصيل الرحلة أو الطريق الذي سارت عليه، وإذا ما حدثت بينه وبين قُطّاع الطريق مناوشات أو لا.[١]

دولة بني خالد (١٠٨٠ ـ ١٢٠٨هـ)

برز الوجود الخالدي في الأحساء في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، على يد أحد فروع الأسرة المعروف بـ (آل حميد).

وقد بدأ نشاطها في بداية الأمر كحليف للعثمانيين الذين استولوا على السلطة في المنطقة أثر سقوط حكومة آل مغامس فيها، ثم ما لبثوا بالتحرك والبحث عن دولتهم المستقلة في الأحساء مستفيدين من ضعف الدولة العثمانية وانشغالها بالحرب مع البرتغاليين الذين يعملون على بسط نفوذهم في بلاد البحرين.

شرع آل حميد من الخوالد بالثورة على الحكومة العثمانية على شكل مناوشات عسكريّة خلال العقد السابع والثامن من القرن العاشر الهجري، إلّا أنّ الاستقلال التام لبني خالد تمّ خلال سنة ١٠٨٠هـ، ليكون أول حاكم للأحساء براك بن غرير

---

١ . ابن لعبون، حمد بن محمد بن ناصر (ت بعد ١٢٥٧هـ)، تاريخ ابن لعبون، نسخة مقتطعة من خزانة التواريخ النجدية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، جمع و ترتيب وتصحيح عبد الله بن عبدالرحمن البسام: ١٤٨، تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ٨٨.

بـن عثـمان آل حميـد، وقد جعـل مدينة المبرز عاصمـة لحكومته،[1] فـكان من الأبعـاد الهامة التـي نالـت مكانة كبيرة مـن التفكير لدى بني خالد وسـلطتهم الاهتمام بالحجاج وتيسـير أمـر بلوغهـم ديـار الحرمـين والذي يشـ ل تحديًا كبـيراً لمعظـم الحكومـات التي حكمت المنطقة.

العناية بطريق الحاج:

تولـى بنـو خالـد حمايـة قوافـل الحجـاج المـارة بـالأراضي الخاضعـة لنفوذهـم إضافة إلى الإشراف عـلى قافلـة حجـاج الأحسـاء والمناطـق المجاورة و تسـييرها تحـت حماية قوة عسـكرية بقيـادة أحـد زعمائهـم أو أتباعهم.[2]

ويتناسـب مـع هـذا الأمـر التعليمات التـي ترد إلى بنـي خالد مـن قبل الدولـة العثمانية التـي كانـت تنظـر بعـين الرضـا إلى دولة الخوالـد، وتنظـر لهـا رغـم أنهـا دولة مسـتقلة وغـير خاضعـة لهـا أنهـا دولة حليفـة و صديقة لهـا، لـذا لم تعمل عـلى تقويضهـا والقضاء عليهـا، خاصـة وهـي كانـت مشـغولة بصـراعات خارجيـة تغنيهـا عـن فتـح جبهـات جديـدة، فـ ان مـن الجوانب التي أكـدت عليها في مراسـلاتها مع دولة بنـي خالد الحفاظ عـلى أمـن الحجاج السـائرين على طريق الحج الأحسـائي، بـل وعدم أخـذ ضريبة عليهم.

فقـد كانـت الدولة العثمانية تنظـر إلى بني خالد في الأحسـاء، كأتباعهـا وفي المقابل قَبِلَ بنـو خالـد بهـذه السـيادة الاسـمية للعثمانيـين مقابل عـدم الدخـول معهـم في صراع غير مأمـون العواقب.

ففـي أواخر شـهر شـوال سـنة ١١٠٩هـ، وردت تعليمات إلى حـكام وأمـراء المناطق

١. الوهبـي، عبـد الكريـم بـن عبـد الله المنيـف، بنـو خالـد وعلاقتهـم بنجـد١٠٨٠ ـ ١٢٠٨هـ، ١٦٦٩ـ١٧٩٤م، دار ثقيـف للنـشر والتوزيـع: الريـاض، الطبعـة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م: ١٦١.

٢. الوهبـي، عبـد الكريـم بـن عبـد الله المنيـف، بنـو خالـد وعلاقتهـم بنجد١٠٨٠ـ١٢٠٨هـ، ١٦٦٩ـ١٧٩٤م، دار ثقيـف للنـشر والتوزيـع: الريـاض، الطبعـة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م: ٣٧٢.

التي يمر بها الحجاج والتجار والزوار الفرس تقضي بضرورة معاملتهم كبقية إخوتهم من المسلمين وعدم أخذ أي ضرائب أو رسوم إضافية عليهم، إضافة إلى ذكرها لبعض ما يحدث من تجاوزات والأمر بإيقافها وكان من ضمن من وجّهت إليه تلك الأوامر أمراء الحج بكل من بغداد والبصرة والأحساء، وكان حاكم الأحساء في تلك الفترة سعدون بن محمد بن غرير.[1]

من شيوخ دولة بني خالد: الشيخ سعدون الخالدي (١١٠٣ ـ ١١٣٥هـ):

سعدون بن محمد بن غرير آل حميد الخالدي ثالث حـ ام دولة بني خالد (١١٠٣ـ١١٣٥هـ)، تولى بعد وفاة والده محمد بن غرير آل حميد، واتصف بالشجاعة والقوه حيث لقب بسلطان البر، وقد بلغ حكم بني خالد الذروة في عهد هذا الزعيم من حيث الاستقرار والاتساع ليشمل نجداً والمناطق الشمالية إلى الشام، إضافةً إلى شرق الجزيرة العربية وقد عمّ في تفترة حكمة الطويلة الهدوء النسبي إذ أذعنت له القبائل ودفعت له الأموال مقابل سماحه لهم بارتياد المراعي الخاضعة فترة حكمه.

فقد سار الحاج الخالدي سنة ١١١٩هـ، عبر طريق الحاج الأحسائي متجهًا إلى العارض ونزل على ثادق،[2] بإمارة وقيادة سعدون وسط حراسة مشددة تحسباً لأي مواجهة لقُطّاع الطرق.[3]

والنتيجة فإنّ سعدون يأخذ معه ضمن موكب الحاج قوة عسكرية كبيرة لحماية الحاج من قُطّاع الطرق، وتحسباً من أي طارئ، خصوصاً إذا عرفنا أنّ موكبه في هذه الفترة كان يضم أعداداً كبيرة من الحجاج الإيرانيين الذين جاءوا إليه من الدولة الصفوية التي حمّلته مسؤولية إيصال حجاجها إلى الديار المقدسة من طريق الحاج الأحسائي

---

١ . بنو خالد وعلاقتهم بنجد، مصدر سابق: ٣٩٨.

٢ . منطقة تقع في الجزء الشمال الغربي من منطقة الرياض.

٣ . تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٤٥.

بعد تعثر الطريق المعتاد المعروف بدرب زبيدة، إما بسبب فقدان الأمن أو لوجود خلافات بينهم وبين الدولة العثمانية التي تسيطر على الدرب وخاضع لحمايتها.

وفي نفس الفترة نجد أنّ الحاج الأحسائي عانى من مشاكل في المدينة المنورة التي اعتاد الحاج الذهاب لزيارة الرسول ﷺ بعد موسم الحج، فكانت بعض الحوادث سبباً في عزل أمير الحجاز.

ومن هذه الحوادث أنه في سنة ١١١٦هـ، تولى إمارة الحجاز الشريف عبد الكريم بن محمد بن علي، بعد صراع مع الشريف سعيد بن سعد، وأبيه سعد بن زيد، حتى ثُبِّت بمرسوم عثماني في السادس من شهر شعبان لعام ١١١٧هـ[1] إلّا أنه لم يكن حسن السيرة.

ففي زمن الشيخ سعدون أمير بني خالد في الأحساء سنة ١١٢٠هـ، وقعت حادثةٌ تدلّل على أهمية حاج الأحساء عند الدولة العثمانية، فقد فرض أمير المدينة الشريف عبد الكريم على حجاج الأحساء ضريبةً يؤدونها كما يؤديها القادمون من البلاد البعيدة، فضجّ أهل الأحساء من هذه الضريبة، واشتكى أميرهم إلى قائد العسكر التركي نصوح باشا، والذي حاول جاهداً معالجة المشكلة وحلّها بالصلح وإقناع الأمير بالتراجع عن قراره، إلّا أنّ محاولته باءت بالفشل، لأنّ الأمير اعتبرها تدخّلاً في الشؤون الداخلية لإدارته، مما تسبب في عزل الشريف عبد الكريم بأمر من الآستانة وتعيين الشريف سعيد بن سعد بدلاً منه.[2]

فأمن الحاج وشعورهم بالرضا في ظلّ الدولة العثمانية من الأمور الهامة التي أولتها اهتمامها وعملت من أجلها، ومن بين هذه الجوانب عزل المتطاولين من الأمراء والولاة الذين تحت إمرتها، ويكونون مصدر إزعاج أو شكاوى من قوافل الحجيج.

---

١ . بدر، د. عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الناشر نفسه: المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م، ٢ : ٣٧٩.

٢ . التاريخ الشامل للمدينة المنورة، مصدر سابق ٢ : ٣٨٠.

الدولة السعودية الأولى (١١٥٧ ـ ١٢٣٣هـ)

وهي دولة أسّسها الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن أمير الدرعية والذي اتخذها عاصمة لدولته. استمرت الدولة السعودية الأولى في التوسع حتى نهايتها سنة ١٢٣٣هـ، وذلك بعد إسقاطها على يد القوات العثمانية بقيادة إبراهيم باشا.

وكان دخولها إلى الأحساء على يد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد آل سعود الذي تطلع لضمّ الأحساء إلى مملكته، بعد أن بسط نفوذه في محيط نجد واستطاع السيطرة على جميع ضواحيها سنة ١٢٠٧هـ، بعد أن انتهى من السيطرة على جبل شمر، إلّا أنّ الأحساء كانت هدفاً مهماً له، وذلك نابع من عدّة عوامل:

* العامل الأول: رفض أمراء الأحساء قبول مبادئ الدعوة السلفية، بل عملوا على مناهضتها ومحاولة إسقاطها.

* العامل الثاني: هروب بعض القبائل النجدية إلى الأحساء واللجوء لها، لشهرتها كطرف نقيض للدولة السعودية، فكان الهدف أيضاً تأديبهم ومطاردتهم، مما زاد العداء بين الطرفين.

* العامل الثالث: وهو الاقتصادي، تقول الدكتورة مديحة درويش: «وإن كان يبدو غير مباشر، إلّا أنه في الحقيقة هو الدافع الأساسي في ضمّ الأحساء الذي يمتاز بكثرة واحاته الخصبة الوفيرة بالمياه، هذا إلى جانب وقوعه على الخليج [الفارسي] حيث الحركة التجارية والمصايد التي تشكل مورد رزق كبير في ذلك الوقت كان من أهمّ الأشياء التي تتطلّع إليها الدولة السعودية في زيادة دخلها في القيام بمساعدتها في أعبائها التوسعية».[١]

وقد بدأ التوجه لضمّ الأحساء لحكومة الدرعية سنة ١٢٠٣هـ، عبر هجمات

١ . درويش، د. مديحة أحمد، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق: جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م: ٢٣.

متكررة على أطراف المنطقة والدخول في صراع مع حكومة الخوالد المحلية فيها، ولم تتم السيطرة التامة على المنطقة إلّا عام ١٢١٠هـ بعد حروب طاحنة، حيث استطاع الإمام سعود بن عبد العزيز الغلبة في معظمها حتى تم جلاء الخوالد وخروج فلولهم منها، عندها قام الإمام سعود بتثبيت مقرٍّ للجند داخل قلاعٍ فيها، لتكون الأحساء أحد المناطق التابعة لدولة نجد، بعدها عمل على ضمّ الحجاز والسيطرة عليها سنة ١٢١٤هـ، وتولي إمارة الحاج في موكب كبير يضم معظم المناطق التابعة لدولته والتي امتدت في ربوع الجزيرة العربية، وقد حجّ معه أهل الأحساء معظم فترة حكمه وهي خلال السنوات التالية:

ففي سنة ١٢١٤هـ، حج الإمام سعود بن عبد العزيز حجته الأولى وأخذ معه جميع أطراف دولته، فكان منهم غالب الأحساء وأهل نجد والجنوب، والبوادي وغيرهم،[١] وكان ذلك في حكم والده الأمير عبد العزيز بن محمد آل سعود (ت١٢١٨هـ).

أما حجته الرابعة، فقد كانت سنة ١٢٢٢هـ، وقد جمع فيها موكباً كبيراً من أرجاء دولته فكان معه أهل الأحساء والعارض والجنوب والوشم وسدير والقصيم وجبل شمر ونواحيه، وبيشة ورنية وتهامة، واليمن والحجاز وغير ذلك.[٢]

وكانت حجته الخامسة، سنة ١٢٢٣هـ، وفيها حجّ سعود بن عبد العزيز بالناس الخامسة، وحجوا معه جميع أهل نواحي رعيته من الحساء، والقطيف، والبحرين، وعمان، و وادي الدواسر، وتهامة، والطور، وبيشة، ورنية وجميع الحجاز إلى المدينة ونواحيها، وما بين ذلك من بلدان نجد وقضوا حجهم على أكمل الأحوال.[٣]

---

١ . الحنبلي، عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز: الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م، ١ : ٢٥٥.

٢ . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ١ : ٢٩٤.

٣ . تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ٢٢٧، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ١ : ٢٩٦.

وكذلك في سنة ١٢٢٤هـ، حجّ الأمير سعود بن عبد العزيز حجته السادسة وأجملوا معه للحج جميع أهل الأحساء ونواحيها، والعارض ونواحيه، وجميع من شـ لته مملكته، من أهل القصيم، وجبل طيئ، والطائف، وقضوا حجهم على أكمل الأحوال.[١]

وكذلك حجّ أهالي الأحساء مع الأمير سعود بن عبد العزيز في حجته السابعة والتي كانت في السنة التي تليها سنة ١٢٢٥هـ، وحجّ معه أهل الأحساء والجوف، وعمان إلى وادي الدواسر وعسير، وينبع وما بين ذلك.[٢]

وحج حجته الثامنة سنة ١٢٢٦هـ، كان خروجه في موكب مهيب شمل مختلف مناطق دولته كالأحساء وعُمان، ونجد والجنوب والحجاز واليمن.[٣]

وكانت كذلك حجته التاسعة في السنة التي تليها سنة ١٢٢٧هـ، وكان موكب الحاج الخاص به يضم أهل الأحساء ونجد واليمن وعمان والحجاز.[٤]

فقد استطاعت الدولة السعودية الأولى تأمين طريق الحاج بين مختلف الأطراف التابعة لها ومنع تجاوزات البدو وقُطّاع الطرق، فمن خلال الاستعراض السابق لا نجد حوادث بارزة، ولعلّ مرجع ذلك أيضاً الحراسة المشدّدة التي يخرج بها موكب الحاج من جهة ولدراية الأمير سعود بالقبائل وقدرته لمنع تجاوزاتهم.

وللبحث صلة تأتي في العدد القادم إن شاءالله تعالى

***

١ . م . ن ١ : ٣٠٤.

٢ . م . ن ١ : ٣١٤.

٣ . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ١ : ٣٢٧.

٤ . م . ن ١ : ٣٣٠.